إنتهاك حرمات المساجد في مصر خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

د. ألفت جمال محمد محمد(*)

مقدمـــة:

كانت بداية قيام دولة المماليك فى مصر على أسس جليلة منبعثة من إيمان عميق بالدين؛ وذلك رغبة فى تكوين دولة فرسان يكونوا حماة للدولة الاسلامية، والدين الإسلامى، وهو ما ظهر جليا فى انتصاراتهم على أعدائهم فى الكثير من المعارك الحربية الحاسمة والفاصلة فى تاريخ العالم الإسلامى الأمر الذى ترتب عليه تثبيت وتوطيد دعائم وأركان الدولة الناشئة(١).

ولما كان حرص السلاطين والأمراء المماليك على رعاية العلم مبدأه رغبة هؤلاء في الوصول إلى كرسى الحكم من خلال التودد للشعب باستمالة فقهائه وعلمائه، لذلك قاموا بإنفاق المال الكثير لتشييد العمائر المختلفة خاصة الدينية (٢).

فكانت المساجد أول أنواع هذه العمائر التي اهتم السلاطين والأمراء المماليك بتشييدها، وذلك سيرا على نهج أسلافهم الأيوبيين(٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١- ١٢٥٠م) فى اقتلاع بقايا المذهب الشيعى من مصر(٣)، بالإضافة إلى رغبة الكثير من سلاطين المماليك وأمرائهم في فعل الخير والتماس الأجر في المقاصد والأفعال(٤)، خاصة وأن المساجد كانت فى ذلك الوقت تعد أكبر المعاهد التعليمية فى الحضارة الاسلامية(٥) فهى المركز الرئيس لنشر الثقافة العربية الاسلامية (٦)، كما

(*) مدرس بقسم التاريخ –كلية الآداب جامعة كفر الشيخ

(١) أبو شامة: الذيل على الروضتين، تحقيق، عزت العطار الحسينى الدمشقى، بعنوان تراجم رجال القرنين السادس والسابع، القاهرة، ١٩٤٧، ص ١٧٨؛ أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٣، القاهرة، ١٣٢٥هـ، ص ١٧٢، ١٧٥؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك،ج١، تحقيق، محمد مصطفي زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٣٦١؛ قاسم عبده قاسم فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠١، ص١٣٩-١٤٠؛ أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ٢٠٠٦، ص ١٤٥.

(٢) عبد المنعم ماجد: الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية التاريخ السياسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٦٦؛ فهمى عبد العليم: العمارة الإسلامية في عصر المماليك الجراكسة، الكتاب رقم٣٣، مشروع المائة كتاب، المجلس الأعلى للآثار، وزارة الثقافة، القاهرة(د. ت)، ص ٢١-٢٢.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٥١.

(٤) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ج١، تحقيق تركى فرحان المصطفى، داراحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٧ هـ /٢٠٠٦م، ص٣٦٣.

(٥) ابن مريم: البستان فى ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبى شنب، مطبعة أحمد بن مراد التركى وأخيه، الجزائر، ١٣٢٦هـ،١٩٠٨م، ص ٣٤؛ هاشم الشريف: دالة التقليد فى الثقافة العربية والإسلامية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، الليبية، عدد ٦، ١٩٨٩م، ص ٢١٠.

(٦) جمال أحمد طه: مدينة فاس فى عصر المرابطين والموحدين٤٤٨هـ/١٠٥٦م إلى ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الأسكندرية ٢٠٠١م، ص ٢٧٣.

كانت المساجد قبل تأسيس الزوايا والمدارس تقوم باستقبال العامة والمصلين فى حلقات دراسية تعقد بداخلها أو فى بعض الغرف الملحقة بها حيث تعقد حلقات الذكر وتنظم المناظرات العلمية والحوارات الفقهية والمطارحات الأدبية واللغوية ، ودروس الوعظ والارشاد والإفتاء[١] مما كان له أثره البعيد فى تقدم العلوم والآداب [٢] .ولم تمنع فكرة انشاء المدارس وانتشارها من أن يبق المسجد محل تعليم، بل إنه ارتفع طبقة فصار للتلعليم المتوسط أو طبقتين فصار للتعليم العالى[٣] ومن هنا كان المسجد بقدر ما تسمح به ظروفه وشيوخه ومقدرتهم بمنزلة الحافظ لضمير الجماعة والقيم على شئون الشريعة وأمورها[٤]

هذا وقد أكثر سلاطين المماليك وأمرائهم من إنشاء المساجد في محاولة منهم لتقوية رباط الدين الذي يربطهم بالشعب المصري حتى يغضوا الطرف عن الحديث في أصولهم وأنسابهم ومدى شرعية حكمهم من عدمه، ولا يذكر لهم إلا أنهم مسلمون مخلصون حريصون على إقامة شعائر الإسلام وتقوية دعائمه[٥]، فكان المسجد على هذا النحو ساحة للعبادة ورحاباً للدراسة، مما جعله يسهم إلى حد بعيد في تشكيل ثقافة العصر الدينية والعلمية[٦].

الدراسات السابقة

على الرغم من وجود دراسة سابقة وهى"انتهاك حرمات المساجد والموتى في القرنين الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين"عرض وتأصيل وتقيم"، للدكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم، ولكن بالاطلاع على تلك الدراسة يتبين لنا أنها مختلفة تماما عن موضوع هذا البحث. وهذا الاختلاف ليس قاصرا على الفترة الزمنية، والمنطقة الجغرافية فحسب بل جاوزه ليشمل كذلك المنهج المتبع فى الدراسة.

(١) حسين مؤنس: المساجد، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٨١م، ص٣٢-٣٧؛ على حبيبة: النظم الإسلامية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٥٥؛ سحر السيد عبد العزيز سالم: انتهاك حرمات المساجد والموتى في القرنين الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين(عرض وتأصيل وتقيم)، العدد(٢) يونيو، مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية، جامعة الوادي الجديد، ٢٠٢٢م، ص٢٤؛ عبد العزيز فيلالى: تلمسان فى العهد الزيانى، دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية،ج١، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧. ص ١٥٤.

(٢) محمد أحمد محمد الشحرى: واسط والعراق مركزا للدراسات الإسلامية خلال القرن الثامن الهجرى من خلال كتاب المراكز الثقافية والعلمية فى العالم العربى عبر العصور حصاد ٩، ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٤٢٧.

(٣) أحمد البطاوي : أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧ م، ص٧٨؛ محمد عبد السلام عباس: في تاريخ الحضارة والثقافة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ٢٠١٠م، ص٨٣؛ عثمان الكعاك : محاضرات فى مراكز الثقافة فى المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية،١٩٨٥، ص، ٧٢.

(٤) نقولا زيادة: دراسات فى تاريخ المغرب العربى والسودان الغربى، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩١م، ص٢٠١.

(٥) محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مج٥، ق١، جـ٣، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ١٩٩٥م، ، ص٨١؛ حياة ناصرالحجي: صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنةالمماليك، ، الكويت، ط١، ١٩٩٢، ص١٣٥. محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، ص١٨٠.

(٦) محمد عبد السلام عباس: المرجع السابق، ص٨٤.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

ترجع أهمية دراسة موضوع انتهاك حرمات المساجد في مصر خلال العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، إلى التعرف على عمليات انتهاك حرمات المساجد ومظاهرها، وذلك من خلال دراسة الصراعات السياسية والدينية والاقتصادية التي أثرت بالسلب على المساجد، بعد شيوع التطرف والبدع خلال العصر المملوكى، بالرغم من أن الأصل تعظيم المساجد وليس انتهاكها.

هذا وقد اتضح لنا من استعراض الدراسات التاريخية الخاصة بتاريخ مصر خلال العصر المملوكي أن موضوع انتهاك حرمات المساجد خلال هذه الفترة يحتاج إلى عمل دراسة قائمة بذاتها، لأن كل ما كتب عن هذا الموضوع عبارة عن شذرات مترامية هنا وهناك داخل بطون المصادر، كما أن بعض الدراسات التي تناولت الحياة السياسية والاجتماعية في مصر خلال العصر المملوكي لم يفرد بها جانباً مستقلا لدراسة هذا الموضوع ، فكان لابد من ملء هذا الفراغ.

وأيضا جاء اختياري لهذا الموضوع لما شاع من انحراف البعض عن قيم الإسلام الحنيفً الخاصة بالمساجد وتعاليمه، بالرغم من أن ديننا الإسلامى الحنيف ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قد وضع أسسا وآداباً وسلوكيات لابد من اتباعها عند الدخول إلى المسجد، تلك الانحرافات التى أتاحت الفرصة أمام بعض المتشددين للنيل من الإسلام والمسلمين؛ لذا وجب الكتابة فى هذا الموضوع للتأكيد على أن ما حدث من انتهاكات وما شاع من بدع وخرافات خاصة بالمساجد خلال العصر المملوكى عبارة عن أمور طارئة، ليست متأصلة فى المجتمع المصرى، ولا يجوز أن نحكم على الدين الإسلامي من خلال بعض الممارسات الخاطئة التي قام بها البعض[١].

وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى خمسة مباحث وهي كالآتي:-

أولاً:انتهاك حرمات المساجد لأسباب سياسية في مصر خلال العصر المملوكي .

ثانياً: انتهاك حرمات المساجد لأسباب اقتصادية في مصر خلال العصر المملوكي .

ثالثاً:انتهاك حرمات المساجد لأسباب مذهبية و دينية في مصر خلال العصر المملوكي.

رابعاً:انتهاك حرمات المساجد لأسباب اجتماعية خاصة بالانحرافات والبدع في مصر خلال العصر المملوكي.

خامساً: دور الدولة المملوكية في المحافظة على المساجد وحمايتها، ثم أردف كل هذا بخاتمة.

أولاً:انتهاك حرمات المساجد لأسباب سياسية في مصر خلال العصر المملوكي:-

(١) سحر السيد عبد العزيز سالم: انتهاك حرمات المساجد، ص ١٢، ١٤.

كان أول حدوث لخروقات حرمات المساجد بمصر خلال العصر المملوكي نتيجة للصراعات السياسية، ما حدث عندما أرسل السلطان الظاهر بيبرس[١] (٦٥٨-٦٨٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م)، في سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، إلى (داوود) ملك النوبة[٢] التجاريد العسكرية وذلك بسبب دخوله مدينة أسوان[٣] مستغلا انشغال الظاهر بيبرس بحروبه ضد المغول والصليبين ومملكة أرمينية الصغرى، وقيامه بنهبها وأحراقها ومن بين ذلك المساجد التي لحقها الحريق، فتقاتلوا هناك ونجح المماليك في أسر داود ملك النوبة[٤] وإبعاد خطره عن أسوان، وغنموا منه غنائم كثيرة[٥].

وكان ثاني الخروقات ما حدث بالمدرسة الصاحبية والتي تنسب إلى الصاحب بن شكر[٦]، فقد حدث بها في يوم السبت الموافق العاشر من صفر لعام ٦٩٣هـ/ السادس عشر من يناير لعام١٢٩٣م، بأن عوقب شمس الدين بن السلعوس[٧]، وضرب بالمقرعة[١] إلى أن فارق الحياة

(١) لمزيد من التفاصيل عن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس انظر. ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الدوادار الخطائي(ت٧٢٥هـ): مختار الأخبار- تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، تحقيق، عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص١٢-٦٣؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت-لبنان، (د.ت)، ص٢٣٨ وما يليها؛ أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى، ص ١٧٩-١٨٠ ، ؛ قاسم عبده قاسم: بين التاريخ والفولكلور، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٣، ص١٢١-١٥٤.

(٢) بلاد النوبة: هي بلاد واسعة عريضة تقع على ساحل نهر النيل في أقصى جنوب مصر بعد أسوان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، الجزء الخامس، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٧٧م، ص٣٠٩.

(٣) وفيما يبدو أن داود ملك النوبة عندما قام بهذه الأعمال الإستفزازية كان مدفوعا بروح صليبية وكراهية دينية، وهو ما أكده قيامه بمهاجمة ميناء عيذاب لا بقصد تهديد التجارة الملوكية، وانما بهدف قطع طريق الحج فى هذه المنطقة. سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر فى عهد دولة المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٧٨؛ أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى، ص ٢٣٣.

(٤) من الملاحظ اختلاف المصادر فيما بينها حول نهاية داود ملك النوبة فابن أيبك الدوادارى ذكر أنه فى حروبه مع مماليك الظاهر بيبرس اضطر للهروب.ابن أيبك الدوادارى: كنز الدرر(الدرر الزكية في أخبار الدولة التركية)، ج٨، تحقيق، أولرخ هارمان، المعهدالألماني للآثار بالقاهرة، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٨٥-١٨٦؛ قاسم عبده قاسم: فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢٥١. فى حين ذكر ابن الفرات والمقريزى أن داود ملك النوبة تم أسره من قبل مماليك بيبرس. تاريخ ابن الفرات المعروف باسم الطريق الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك، ج٧، تحقيق قسطنطين رزيق، بيروت، ١٩٣٩، ص ٤٥-٥١؛ المقريزى: السلوك، ج١، ص ٦٢١-٦٢٢؛ أحمد مختار العبادى: المرجع نفسه ٣٣٣.

(٥) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣، تحقيق، نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢٢٠-٢٢١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص٥٢٠؛ المقريزي: المصدر نفسه، جـ٢، ص ٩٤-٩٥؛ ابن أيبك الدواداري: المصدر نفسه والجزء، ص١٨٣؛ أحمد مختار العبادي: المرجع نفسه، ص١٩٩-٢٠٠ . ولمزيد من التفاصيل راجع. كرم الصاوي باز: ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص٨٦-١٠٠؛ محمود محمد الحويري: أسوان في العصور الوسطى، مطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٥٥-٥٨.

(٦) هو عبد الله بن علي بن الحسين الدميري المشهور بالصاحب بن شكر، ولد عام٥٤٠هـ/١١٤٥م، درس وتفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس، استوزره الملك العادل الأيوبي، و توفي عام٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وهو الذي قام بإنشاء المدرسة الصحابية نسبة للقبه. لمزيد من التفاصيل. انظر. ابن شاكر الكتبي: فوات الوافيات، ج٢، تحقيق، إحسان عباس، بيروت-لبنان(د.ت)، ص١٩٣-١٩٦؛ ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة، بيروت-لبنان، (د.ت)، ص٩٥؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص ٣٧١، ٣٧٣،. وكانت بالمدارس أماكن للصلاة حتى يتسنى للدارسون الصلاة فيها دون الخروج عنها. أيمن شاهين علام: المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة طنطا، ١٩٩٩م، ص١٦١.

(٧) الوزير شمس الدين بن السلعوس: هو الوزير شمس الدين محمد بن عثمان التنوخي الدمشقي، كان حلو المنطق وافر الهيبة، جعله السلطان الأشرف خليل وزيراً له، وبعد مقتل الأشرف خليل طلب إلى القلعة وتسلمه الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري فضربه ألف ومائة مقرعة، حتى مات

وطرح جثمانه على أرض المدرسة، ثم حمل ودفن بالقرافة[٢]، وكانت تلك العقوبة التى تعرض لها ابن السلعوس بسبب ما قام به من تجاوزات فى حق أهالى الأسكندرية من الأعيان ومن العامة على حد السواء، فقد صادر أموال معظم أعيان الأسكندرية بمعاقبة عدد من الأهالى بالمقارع ولم يستطيعوا التخلص من ذلك الأذى إلا بدفع الأموال[٣]، فجاءت نهاية ابن السلعوس وكان جزاؤه من جنس عمله.

وفي يوم الخميس الموافق الحادي عشر من رمضان لعام ٧٠٩هـ/ التاسع عشر من فبراير لعام ١٣٠٩م، في عهد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير[٤] (٧٠٨-٧٠٩هـ/ ١٣٠٨-١٣٠٩م)، قام الملك بيبرس الجاشنكير بإحضار الخليفة العباسي المستكفي بالله[٥]، وجدد البيعة والتولية لنفسه بحضور الحكام والأمراء وكتب كتاباً بتجديد البيعة، وأمر بقراءته على المنابر بالجوامع، فلما بدأ القارئ في قراءة المرسوم، استغاثت العامة [٦] في كل جانب من جوانب الجامع

عام٦٩٣هـ/١٢٩٣م. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج٨، تقديم وتعليق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٢م، ص٥٣-٥٤.

(١) المقرعة: هي أداة خشبية أو جريدة معكوفة الرأس، وكان ما يستعملها شيوخ الكتاتيب خاصة في عهد المماليك، وذلك لتأديب الصبيان، وجمعها مقارع. اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق، أحمد حطيط، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م، ص١٢١؛ نظير حسان سعداوي: صور ومظالم من عصر المماليك، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٤٩؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٠٤.

(٢) لمزيد حول أخبار الصاحب ابن السلعوس الوزير، أنظر النويري: نهاية الأرب، جـ٣١، ص١٧٠-١٧٢.

(٣) النويري: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٤) بيبرس الجاشنكير: هو المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري، كان يعرف بالعثماني، وكان أبيضاً أشقر مستدير اللحية، تولى الإستدارية للملك الناصر محمد بن قلاوون، وتحكم هو وسلار في أمور البلاد، حتى تولى السلطنة في عام ٧٠٨هـ /١٣٠٨م. عن ذلك راجع الصفدى: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢ ، تحقيق، علي أبوزيد =وأخرون، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١، ١٩٩٨م، ص٧١-٧٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، دار الجيل، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م، ص٥٠٢-٥٠٧. أما عن وظيفة الجاشنكير فهو من يقوم بتذوق الطعام والشراب قبل تناوله من قبل السلطان أو الأمير، وذلك حرصا على حياتهما، وخوفا من أن يكون الطعام مسموما. المقريزى: السلوك، ج٢، ص٧١ ؛ ابن زنبل: آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق، عبدالمنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م، ص٦٧ ؛ قاسم عبده قاسم: فى تاريخ الأيوبيين، ص٢٥٧؛ مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات، ص١١٨.

(٥) هو الخليفة العباسى المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن المتوكل، تولى الخلافة عام٧٤٥هـ/١٣٤٤م بعهد من أخيه المعتضد بالله داود، وكان حسن السيرة، صالحاً عابداً، وظل بالخلافة حتى وفاته عام٧٥٤هـ/١٣٥٢م. السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٤٠٠-٤٠١؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ٧، دار المسيرة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٧٩م، ص٢٨٤.

(٦) كانت تلك الاستغاثة من قبل العامة سببها أنه فى عهد ركن الدين بيبرس الجاشنكير القصير الذى لم يتجاوز السنة "تفشى الوباء، وعظم الدواء، واشتد الغلاء وتوقفت زيادة النيل الأمر الذى ترتب عليه غضب الناس وسخطهم على السلطان، وهو ماعبرت عنه إحدى الأغانى الشعبية التى جاء فى كلماتها"سلطاننا ركين، ونائبنا دقين، يجينا الماء منين،جيبوا لنا الأعرج يجى الماء ويدحرج". المقريزى: السلوك، ج٢، ص ٧١؛ سعيد عاشور: مصر فى عهد دولة المماليك البحرية، ص ١١٤؛ السيد عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ٢٠٠٢م، ص٢٧٦.

وقالوا جميعاً " ليس لنا إلا الملك الناصر محمد بن قلاوون"[١]، وقاموا برجم الخطباء وأخرت قراءة مرسوم البيعة[٢]. وهذا يعد انتهاكا لحرمة المسجد.

كما حدث انتهاك لحرمة جامع القلعة[٣]، وذلك في يوم الجمعة الموافق ٣ من شعبان لعام ٧٣٤هـ/ السادس عشر من أبريل لعام ١٣٣٣م، فبينما الناس مجتمعون لصلاة الجمعة وثب إنسان بملامح أعجمية، وكان يحمل في يده سكيناً، فهم وقصد المقصورة السلطانية[٤]، وكان بها السلطان الناصر محمد بن قلاوون (سلطنته الثالثة)، (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م)، فقبض عليه على الفور من قبل المماليك السلطانية[٥]، وعذب بشتى ألوان العذاب، جراء فعلته، ولما سئل عن سبب فعلته هذه لم يقر بشيء، فأمر بتوسيطه [٦] فوسط وعلق على باب زويلة[٧].

(١) الملك الناصر: محمد بن الملك قلاوون الألفي النجمي الصالحي، تولى السلطنة الأولى سنة٦٩٣- ٦٩٤هـ/١٢٩٣- ١٢٩٤م، بعد مقتل أخيه الأشرف خليل، وعمره تسع سنوات، وكان محجور عليه من قبل كبار الأمراء، وتولى السلطنة الثانية سنة٦٩٨-٧٠٨هـ/١٢٩٨-١٣٠٨م، بعد مقتل السلطان لاجين، واستمر في السلطنة أكثر من عشر سنوات، وصار كالمحجور عليه، فزهد في الحكم وأعلن التنازل عن السلطنة في عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، وتولى السلطنة الثالثة سنة ٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤١م، وكان عمره خمسة وعشرون عاماً، فقرر أن يباشر مهام السلطنة بنفسه وتعد هذه السلطنة الأخيرة من أزهي عصور الدولة المملوكية، وكان له أعمال كبيرة في جميع النواحي، توفى٧٥٥هـ/١٣٥٤م. ابن أيبك: كنز الدرر(الدرر الفاخرة في سيرة الملك الناصر)، جـ٩، ص٧؛ الصفدي: أعيان النصر، جـ٥، ص ٨٣-٨٤؛ اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٤٥٣-٤٥٤؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ٤١-٤٦، ٢٢٩؛ جـ٩، ص٨١-٨٣؛ السيد عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ٢٠٠٢م، ص٢٧٦.

(٢) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٢، ص ١٠٧-١٠٩؛ السيد عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ الأيوبين، ص ٢٧٦.

(٣) جامع القلعة: أمر بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م، واعتنى به السلطان حيث تم استدعاء المؤذنين والقراء والخطباء واختار منهم من يعمل بالجامع، كما قرر فيه دروس الفقه وأوقف عليه أوقافاً كثيرة، وكان السلطان يصلي به الجمع ومعه الأمراء وكبار رجال الدولة. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢١٢.

(٤) المقصورة السلطانية: هي حجرة تبنى في صدر المسجد على يمين القبلة أو يسارها لكي يصلي فها الحاكم، وذلك لحمايته من أي إعتداء من الناس، وكانت موجوده في الكثير من المساجد بمصر وغيرها من الأقاليم الإسلامية. حسين مؤنس: المساجد، ص٨٠؛ سماح عبد المنعم السلاوي:حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد التاسع، القاهرة، ٢٠١٩م، ص١٦٩-١٧٠.

(٥) المماليك السلطانية كانوا ينقسمون إلى قسمين، القسم الأول هم المماليك الذين يتم شراءهم وهم أطفال ويشرف على تربيتهم السلطان، والقسم الثاني هم الذين تنتقل ملكيتهم للسلطان الجديد بعد وفاة سلطانهم الأول، وكلا القسمين يسمح لهم بالإختلاط بالعامة في القاهرة والمدن وهذا ما يميزهم عن باقي المماليك الذين لا يسمح لهم بالإختلاط بالناس. أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص٢٢٠. سيمينوفا: صلاح الدين والمماليك في مصر، ترجمة حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٧٨-٧٩.

(٦) التوسيط هو أن يضرب الشخص بالسيف ضربة تقطعه نصفين، وكان هذا النوع من الإعدام شائعا بمصر فى العصور الوسطى. أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى، ص ١٦٠، هامش ١؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق-سوريا، ١٩٩٠م، ص٤٨.

(٧) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر، جـ٩، ص ٣٧٨- ٣٧٩. (باب زويلة): ينسب إلى قبيلة زويلة بالمغرب، وكان من ضمن الأبواب الموجودة بالسور الذي تم بناؤه حول مدينة القاهرة، وهم عبارة عن بابين في الجنوب، وكانت معظم عقوبات الإعدام تنفذ بالقرب منه. المقريزي: الخطط، جـ١، ص٢٨٠-٢٨١؛ ستانلي لينيول: سيرة القاهرة، ترجمة، حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، (د.ت)، ص١٢٩.

هذا ولم تسلم الجوامع والمساجد من هجمات القبارصة[١] الذين تمكنوا من اقتحام مدينة الأسكندرية في يوم الجمعة المواقف الحادي والعشرون من محرم لعام ٧٦٧هـ/ الخامس عشر من أكتوبر لعام ١٣٦٥م، وذلك في عهد السلطان الأشرف شعبان[٢] بن حسن بن محمد بن قلاوون(٧٦٤- ٧٧٨هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٦م)، وقد عاثوا في المدينة فسادا واخترقوا الشوارع، واقتحموا المساجد والجوامع وكسروا ما بها من قناديل، وقتلوا الشيوخ والعجزة داخل بيوت الصلاة، كما صعدت طائفة من القبارصة إلى مئذنة المدرسة النابلسية[٣]، فوجدوا بأعلاها الشيخ جمال الدين بن النابلسي مختبئاً منهم، وكان ضعيف البنية، فألقوه منها على رأسه إلى الأرض، فمات في الحال، وذهب القبارصة يبحثوا عن من كان مختبئاً في المساجد فيقتلوه بداخلها، وبلغ عدد القتلى في مدة لا تزيد عن أسبوع بمدينة الأسكندرية حوالي أربعة آلاف [٤].
[٤].

وفي الخامس عشر من ذي الحجة، وجدت ورقة عند السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق[٥](سلطنته الأولى)(٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م)، مكتوب فيها" إن غلام الله - مشد الشربخاناه[٦]- يريد أن يكبس عليكم في صلاة الجمعة مع العبيد"، فأمر السلطان

(١) القبارصة: نسبة إلى جزيرة قبرص الواقعة في النصف الشرقي من حوض البحر المتوسط تجاه الساحل السوري، وهي معقلاً هاماً من معاقل المسيحية اللاتينية بالشرق، تقوم بشن الحملات على السواحل الإسلامية، وكانت قبل سقوط عكا في أيدى المسلمين سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، ثم أصبحت بعد سقوط عكا وسواحل الشام في أيدي الصليبين وصارت قاعدة للاتين في الشرق، وهي الجبهة الرئيسية للحركة الصليبية المتأخرة. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الأسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ١٩٨٢م، ص٣٠٩؛ السيد عبد العزيز سالم، سحر سالم، فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٣٤٤وما يليها.

(٢) هو الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان بن الملك الأمجد حسين بن السلطان الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ولد سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م بقلعة الجبل، تسلطن بعد خلع ابن عمه الملك المنصور بن محمد، وهو السلطان الثاني والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، وكان عمره حين تسلطن عشر سنين في الخامس عشر من شعبان سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٤٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٢٤.

(٣) بنيت هذه المدرسة بالإسكندرية، خلال العصر المملوكي، ومؤسسها هو الشيخ جمال الدين بن النابلسي.السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي، ص٤٧٧.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج١، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٨٤؛ السيد عبد العزيز سالم: المرجع نفسه، ص ٣٦٣-٣٤٠.

(٥) السلطان برقوق: استطاع الأمير برقوق الجركسي أن يصل لمنصب أتابك العسكر، وبعد ذلك تولى(السلطنة الأولى) سنة٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٦م، وقد واجهته عدة صعاب وهزم وأبعد عن السلطنة، وسجن في الكرك بالشام، ولكنه استعاد حريته وكون له أنصار كثيرة، ودخل القاهرة وأعلن نفسه سلطاناً (السلطنة الثانية) سنة٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٨٩- ١٣٩٨م، ولم تكن سلطنة الثانية هادئة فقد حدث فيها الكثير من الصعاب أيضاً، وتوفى عام٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت- لبنان، (د.ت)، ص ١٠-١٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور:الأيوبيون والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ١٩٩٦، ص ٢٦٥- ٢٦٨؛ قاسم عبده قاسم: فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٧٢. حياة ناصر الحجى:أحوال العامة في حكم المماليك، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٩٩٤م، ص ٣٤ وما يليها.

(٦) وظيفة شاد الشرابخاناه: تتلخص في الإشراف على ما تحتاجه خزانة الشراب الخاصة بالسلطان من سكر ومشروبات وفواكه وثلج وغيرها، وكان هذا الشاد يختار من بين أمراء المماليك، وعادة ما يكون أميراً مقدماً أو طبلخاناه. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط٢، ١٩١٣م، ص٢١؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٢٦٥.

برقوق الخطيب أن يؤخر الخطبة، وقد توافق ذلك مع حضور قرط[١] من أسوان ومعه كتب من غلام الله إلى أولاد الكنز[٢] يحرضهم على المجيء، فقبض على غلام الله وسجن[٣].

وقد كان الجامع في العصر المملوكي يتخذ ملجأ ومكان للاختباء، فقد هرب أتابك[٤] الديار المصرية الأمير بركة[٥] إلى جامع المقس[٦] الواقع بباب البحر بالقنطرة ، فأختفى بركة عنده ومع شروق الشمس قبض عليه بالجامع وقاموا بإرساله إلى سجن ثغر الأسكندرية[٧]، وذلك في عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م[٨].

كما تم انتهاك جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي[٩](٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، فقد أمر السلطان الأشرف أبو النصر برسباى الدقماقى(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م)[١٠]، بأن

(١) قرط: هو والي أسوان، ويعد قرط أول والي قام بالإغارة على بني الكنز بالنوبة في عام ٧٨٠هـ/١٣٧٩م، وقام بقتل العديد منهم وأسر البعض وأرسلهم للقاهرة. وغلام الله هذا هو شاد الشربخاناه الذي اتفق مع بني الكنز لعزل السلطان برقوق. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ، ج١، تحقيق، حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٧٩؛ محمد الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ص٤٣-٤٤.

(٢) بنو الكنز: هم من أمراء قبيلة ربيعة من العرب، وتزاوجوا بالنوبين وتعايشوا معهم في أسوان ووادي العلاقي، ولقب كنز الدولة أول من لقب به هو أبو المكارم هبة الله بن محمد بن علي، وهو حاكم بلاد النوبة، وهذا اللقب منحه إياه الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي بمصر، وذلك مكافأة له من أجل جهوده المبذولة للقضاء على الثائر أبو ركوة ونجاح تلك الجهود. المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق، عبدالمجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٨٩م، ص٤٦؛ أحمد مختار العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢٠٠؛ كرم الصاوي: ممالك النوبة، ص٣٩؛ محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص٣٢-٣٣، ٣٦-٤٨.

(٣) ابن حجر: ، إنباء الغمر ص١٧٩؛حياة ناصر الحجي: أحوال العامة، ص٣٦٠-٣٦١.

(٤) أتابك العسكر: ظهر هذا اللقب خلال عصر السلاجقة، وكان في بداية عصر الدولة المملوكية يأخذ بمعنى الوصي، ثم أخذ الأتابك بعد ذلك دلالة أخرى مثل: أتابك العسكر، وكانت الكلمة نفسها تعنى الرئيس أو الكبير، وأتابك: هي وظيفة قائد وأمير الجيش المملوكي. محمد بن منكلي: الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق، محمد شيت خطاب، المجمع العلمي العراقي،١٩٨٨م، ص١٢٦؛ حسن الباشا: الفنون والوظائف على الآثار العربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٥م، ص١١؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص١٧.

(٥) الأمير بركة: هو زين الدين بركة بن عبد الله الجوباني اليلبغاوي، تركي الجنس، وكان من مماليك السلطان يلبغا، ومن بعده دخل في خدمة أولاد الملك الأشرف شعبان، وبعد مقتل الأشرف شعبان، صار الأمير بركة رأس نوبة الأمراء وأتابك الديار المصرية، وكان يتفق مع برقوق، حتى وصل لحكم مصر، وبعد ذلك وقع الخلاف بينهما، وأنتصر في النهاية برقوق على بركة فأمر بسجنه بسجن الأسكندرية وقتله ابن عرام والي الاسكندرية سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١١، ص ١٦٥-١٦٦؛ قاسم عبده قاسم: فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٧٢.

(٦) جامع المقس: يعرف عند العامة باسم جامع المقسي، يقع بالقرب من منظرة المقس، وكان الجامع قبلي المنظرة التي بساحل النيل، وكان موجوداً على أيام الدولة الفاطمية، وقد جدده الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسي، في سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، وظل على ما جدد عليه عندما شاهده المقريزي بعينه. المقريزي: الخطط، جـ١، ص٢٨٠.

(٧) سجن ثغر الأسكندرية: حمل هذا السجن عددا من المسميات منها سجن الأسكندرية، سجن برج الأسكندرية. ابن حجر : إنباء الغمر، ج٨، ص ٢١٩. ولمزيد من التفاصيل حول هذا السجن. انظر. هالة نواف يوسف الرفاعى: السجون فى مصر فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨، ص ٥٦-٦٠.

(٨) ابن حجر: إنباء الغمر ، جـ١، ص٢١٠-٢١١؛ المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٨٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٢٠٤.

(٩) جامع الحاكم: ينسب للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، على الرغم من أن الذي أمر بإنشائه والده الخليفة العزيز بالله في عام٣٨٠هـ/٩٩٠م، ولم يكتمل البناء إلا في عام٤٠٣هـ/١٠١٢م، في عهد الحاكم بأمر الله، ويقع الجامع خارج سور القاهرة عند باب الفتوح، وهو من أهم مساجد مصر خلال العصر الفاطمي، وقد طرأت عليه عمليات تجديد وترميم كثيره حتى العصر الحالي. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٨٥. ولمزيد من التفاصيل راجع. أحمد فكري: مساجد القاهرة، ج١، (العصر الفاطمي)، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م، ص٦١-٦٥.

(١٠) برسباي: هو برسباي بن عبد الله الملك الأشرف أبو النصر الدقماقي الظاهري الجركسي، يعد من أشهر سلاطين المماليك الجراكسة، وأصله من بلاد الجركس وقد بيع في القرم، وحضر مع أحد التجار إلى بلاد الشام واشتراه نائب ملطية الأمير دقماق الذي ينسب إليه، تولى الحكم في عام ٨٢٥هـ/١٤١٢م، وكان مغرماً بإنشاء العمائر، ومن أهم عمائره مدرسته المعروفة بالأشرفية بخط العنبريين، وكذلك جامعه الكبير بحي الخانكة

يطاف برأس الأتابكي جاني بك الصوفي[١] في القاهرة فطافوا برأسه ثم علقوها بباب زويلة وبقيت ثلاثة أيام، ثم أمر السلطان بأن ترمى بميضة جامع الحاكم بأمر الله فرميت بها، وكان ذلك في عام ٨٣٥هـ/١٤٣١م[٢].

وفي عهد السلطان أبو سعيد الدين خشقدم الناصري(٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م) [٣]، سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م، قام مماليكه الخشقدمية[٤] بالقبض على جاني بك[٥] نائب جدة [٦]، وقتلوه بجوار جامع القلعة ورموا على رأسه حجر بعد أن طعنوه بالرمح، وإذ به يسقط على الأرض ميتاً، كما حدث ذلك مع تنم رصاص[٧] الذي كان بصحبته ولقى نفس مصير جاني بك[٨].

وفي عام ٩٠١هـ/١٤٩٥م فى سلطنة السلطان أبو السعادات ناصر الدين محمد بن قايتباي (سلطنته الأولى)(٩٠١-٩٠٢هـ/١٤٩٥-١٤٩٦م)، خلع السلطان على الأمير أقباي الطويل

بالقليوبية، وغيرها من المنشآت الهامة، وظل بالحكم لمدة سبعة عشرة سنة، حتى عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م، ودفن في تربته التي أنشأها في الصحراء خارج القاهرة. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص١٠٦-١٠٧؛ عبد الله عطية عبد الحافظ: معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك بمصر والشام" من خلال ما ورد على عمائرهم وفي الوثائق والمصادر التاريخية"، مجلة دراسات في أثار الوطن العربي، العدد العاشر، القاهرة، ص٦٧٣.

(١) الأتابكي جاني بك الصوفي: هو أمير سلاح في سلطنة المؤيد شيخ، وكذلك أقره ابن السلطان المظفر أحمد، بإمرة السلاح وأنعم عليه كثيراً، وسار أتابك العساكر بالديار المصرية، وفي أيام السلطان الملك ططر كذلك، وفي سلطنة الملك الصالح محمد بن ططر، فكان جاني بك الصوفي هو مدبر أمر الديار المصرية وذلك لصغر سن السلطان محمد، وبعد ذلك دخل جاني بك في صراع مع برسباي، فغلبه الأخير وقام بسجنه بسجن الأسكندرية، وبعد ذلك أمر بقتله في عام ٨٣٥هـ/١٤٣١م. ابن تغرى بردى: المصدر نفسه ، جـ١٤، ص ٩، ٢٦، ٤٩-٥٠، ٥٥، ٥٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع،ص٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص ٣٢٧-٣٢٨؛ قاسم عبده قاسم: فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٧٣، هامش ٢٠.

(٣) خُشُقَدمْ: هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين خُشُقَدمْ بن عبد الله المؤيدي، أحد سلاطين الجراكسة، تولى السلطنة في التاسع عشر من رمضان لسنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م وذلك بعد أن قام بخلع السلطان المؤيد أحمد بن الأشرف إينال، وتوفى خُشُقَدمْ سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م بعد أن حكم الدولة المملوكية لمدة ست سنوات ونصف، ودفن في تربته التي كانت تجاور مدرسته في الصحراء، وكان يبلغ من العمر عند وفاته نحو خمس وستين سنة، وذكر المؤرخ ابن تغرى بردى أنه حضر جنازة ودفن السلطان خُشُقَدمْ. انظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ٢٢٩، ٣٠٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، جـ٣، ص ١٧٥-١٧٦؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٧، ص٣١٥.

(٤) الخشقدمية: مماليك من مشتريات السلطان السابق عن السلطان القائم بالحكم، وهم الممتازين والجيدين، ومفردها:خوشقدم. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٦٩.

(٥) جاني بك: هو الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الظاهري الدوادار الكبير، أصله جركسي وقد جلب إلى مصر، وقد تنقل من ملك إلى أخر، إلى أن ملكه الملك الظاهر جقمق في أيام إمرته وأعتقه، فلما تسلطن جعله خاصكياً وقربه إليه، ورقى حتى ولاه بندر جدة وأبلى بلاءً حسناً في إمارته، حتى صار حاكم الحجاز كله، كما ولي الدوادارية الكبرى في دولة الملك الظاهر خشقدم، وصار هو مدبر المملكة، لذلك ذاع صيته، وكاتبه ملوك الأقطار، وكان كريماً جواداً، توفي سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م. ولمزيد من التفاصيل عنه أنظر.ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٦، ٢٨٦-٢٩٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، جـ٦، ص٢٢٧.

(٦) جدة: تقال بالضم والتشديد، وهي بلد على ساحل بحر اليمن، وهي فرضة مكة وبينها وبين مكة مسيرة ثلاث ليال . ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص١١٤.

(٧) تنم رصاص: هو تنم رصاص المحتسب بالقاهرة، وأحد أمراء الطبلخانات، وكان من قبل خازندار صغيراً. االبن حجر: إنباء الغمر، جـ٤، ص٩٨؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص٢٩٠.

(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٣٨١.

بنيابة غزة[١]، واستمر في نيابته عليها، ولما عزم على الذهاب إلى غزة أراد أخذ أقبردي الدوادار[٢] معه خفية، فلما بلغ ذلك قانصوة خمسمائة(٩٠٢-٩٠٢هـ/١٤٩٦-١٤٩٦م)[٣]وكرتباى الأحمر[٤]، أمرا والى شرطة القاهرة [٥]، وأتباعهما بتفتيش الأحمال، فستر الله على على أقبردي حتى خرج من القاهرة، ولم يظفروا به، ولكنهم أخذوا يبحثوا عنه في ذلك اليوم بالخانقاوات، وكذلك الجوامع والزوايا فهجموا على تلك المنشآت، الأمر الذى ترتب عليه إلحاق ضرر كبير بها وبالعامة من جراء تلك الأعمال[٦].

وقد قتل كرتباي بمدرسة السلطان حسن[٧](سلطنته الأولى ٧٤٨-٧٥٢هـ)(١٣٤٧-١٣٥١م)(سلطنته الثانية)(٧٥٥-٧٦٢هـ)(١٣٥٤-١٣٦١)، في واقعة أقبردي، ونتيجة لذلك توقفت الخطبة وصلاة الجمعة بالجامع المذكور لمدة عشرة أشهر[٨]، وفي العام نفسه تم خراب خراب مصلى سبيل المؤمنين بالرميلة[٩]، وكان ذلك يتزامن مع حصار أقبردي للقلعة، فأمر السلطان أبو سعيد قانصوة خمسمائة، بعمارته من جديد فأضحى أجمل مما كان عليه من قبل[١٠].

(١) غزة: هي مدينة في أقصى الشام، بينها وبين عسقلان حوالي(٩) كيلو متر، وبها ولد الإمام الشافعي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص٢٠٣.

(٢) أقبردي الدوادار: هو أقبردي الأشرفي قايتباي، كان خاصكياً ثم رقى لأكثر من مرة حتى صار في الدوادارية الكبرى، وأضيف إليه الوزارية والإستدارية وغيرهما.السخاوي: الضوء اللامع ، جـ٢، ص٣١٥.

(٣) قانصوة خمسمائة: هو الأمير قانصوه الأشرفى قايتباى المعروف بخمسمائة، ترقى حتى صار دواداراً ثانياً ثم أمير آخور. السخاوى: المصدر نفسه ، جـ٦، جـ٦، ص١٩٩.

(٤) كرتباي الأحمر: كان أميراً ورئيساً جليلاً، وكان يحجر على الملك الناصر محمد وينهاه عن فعل الأشياء الشنيعة، فكرهه الناصر محمد، وأراد التخلص منه، فقام بإبعاده عن مصر، حيث استقر كرتباي في نيابة الشام التي ملك قلعتها وطرد نائبها. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٦٤٣.

(٥) والي شرطة القاهرة: هو مصر باي الثور المعروف بالشريفي، تولى في ذي الحجة سنة٩٠٠هـ/ أغسطس١٤٩٥م، وظل بها إلى أن اختفى ثم ظهر وقتل في شهر جمادى الآخرة سنة٩٠٢هـ/ فبراير١٤٩٧م. ابن إياس: المصدر نفسه والجزء، ص ٥٩٩- ٦٠٠؛ أحمد عبدالرازق: شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة،١٩٨٣م، ص١١٢؛ سحر بنت علي محمد دعدع: ولاة القاهرة الكبرى خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة أم القرى- مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية،٢٠٠٦م، ص٢٤٩.

(٦) ابن إياس: المصدر نفسه والجزء، ص ٥٩٩- ٦٠٠.

(٧) مدرسة السلطان حسن: تعرف بجامع السلطان حسن، ومكانها تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل، أمر بإنشائها السلطان حسن في عام ٧٥٧هـ/١٣٥٦م، وهو بناء ضخم أستمر العمل فيه لمدة ثلاث سنوات متواصلة، ويعد أكبر مسجد وجامع في بلاد العالم الإسلامي كله. لمزيد من التفاصيل راجع. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣١٧، ٣١٦؛ حسين مؤنس: المساجد، ص٢٢٥، ٢٢٤.

(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص ٦٢٥، ٦٣٤.

(٩) الرميلة: مكانها الآن ميدان صلاح الدين الأيوبي بالقلعة في القاهرة وهي معروفة بالمنشية. ابن زنبل: آخرة المماليك، ص١١٤.

(١٠) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٦٣٣.

وعندما قتل السلطان الناصر محمد بن قايتباي المحمودي[١]، في عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م صارت جثته ملقاه على الأرض، فوجدها جماعة، فقاموا بحمله وأدخلوه مسجداً هناك، وألقوه على حصير المسجد وهو ملطخ بدمائه ورأسه شبه معلقة في جثته فبات تلك الليلة بالمسجد[٢].

كما أمر السلطان جان بلاط[٣](٩٠٥-٩٠٦هـ/١٤٩٩-١٥٠٠م)، بتحصين القلعة فحصنها، وعمل على هدم أجزاء من مدرسة السلطان حسن بن قلاوون، وذلك خوفاً من اتخاذها مكاناً للهجوم على القلعة، واستمر الهدم فيها ثلاثة أيام متتالية، لصلابة ومتانة البناء والتصميم، وقد تأسف الناس على هدمها لأنه لم يعمر في الدنيا مثلها، وكانت مفخرة العمارة الاسلامية[٤]، ولا شك أن عملية الهدم هذه قد ترتب عليها الإضرار بالمسجد الملحق بها، خاصة ونحن نعلم أن المدارس كان بها أماكن للصلاة حتى يتسنى للدارسين الصلاة فيها دون الخروج عنها، فلا تفوتهم الصلاة من ناحية ولا يتأخرون عن دروسهم من ناحية ثانية[٥].

هذا وقد أمر السلطان جان بلاط عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م، بالقبض على جماعة من الأمراء يوم عيد الفطر وهم بالجوامع، فلما علم الناس بذلك وثبوا على السلطان في الليلة نفسها، وفي تلك الأحداث زادت حدة التفتيش عن طومان باي[٦] فهوجمت الزوايا بحثا عنه، ولكن دون طائل، وهو ما يعد انتهاكا لحرمة تلك المنشآت الدينية [٧].

(١) هو السلطان الناصر محمد بن قايتباي المحمودي، ووالدته جركسية، وكان هذا السلطان ضعيف العقل سفيهاً يأتي بأفعال صبيانية جعلته يسقط من أعين العسكر. القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، المجلد الثاني، تحقيق، فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٢م، ص٣٢٠-٣٢٣.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص، ٦٤٠-٦٤١.

(٣) السلطان الأشرف أبو النصر جان بلاط بن يشبك الأشرفي، الذي جلس على سرير السلطنة في عام٩٠٥هـ/١٤٩٩م، وتزعم المعارضة ضد الأمير قصروه نائب الشام، ومن ثم أرسل إليه جان بلاط عسكراً بقيادة الأمير طومان باى الدوادار الكبير، إلا أن طومان باى اتفق مع قصروه وعاد إلى القاهرة وحاصر القلعة فهرب عسكر السلطان، وهرب السلطان جان بلاط نفسه في زى إمرأة واستمر الملك شاغراً مدة ثلاثة أيام حتى أمسك طومان باى بالسلطان جان بلاط وأرسله إلى الإسكندرية ثم خنقه، وتولى من بعده الحكم. القرماني:أخبار الدول، مجلد٢، ص٣٢٣.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهورجـ٢، ص ٦٧٠، ٦٧٧.

(٥) أيمن شاهين علام: المدارس الإسلامية، ص١٦١.

(٦) طومان باي:هو الملك العادل طومان باي الجركسي ابن أخي السلطان الغوري، كان دوادرياً كبيراً في أيام السلطان جان بلاط، وقد تولى السلطنة سنة٩٢٢هـ/١٥١٦م بعد موت السلطان الغوري، حيث رجع إلى مصر ومعه باقي الجراكسة، وقام السلطان سليم خان العثماني وجيوشه بالدخول إلى أرض مصر، فهرب السلطان طومان باي، وتمكن بعض العرب من الإمساك به، وسلموه إلى السلطان سليم العثماني، فأمر بصلبه على باب زويلة في عام٩٢٣هـ/١٥١٧م.ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٩٨٨؛ القرماني: أخبار الدول، ج٢، ص٣٢٣،٣٢٧؛ نظير حسان سعداوي: صور ومظالم من عصر المماليك، ص٢٠-٢٣.

(٧) ابن إياس: المصدر نفسه، جـ٢، ص ٦٨٣، ٦٨٨.

وفي يوم الجمعة الموافق الثامن من محرم لعام٩٠٧هـ/ الثاني من أغسطس لعام١٥٠١م، تفاقمت الأوضاع وازدادت سوءا وذلك فى سبيل البحث عن طومان باى فبحثوا في الجوامع، وعطلت الخطبة وصلاة الجمعة في عدد ليس بالقليل من الجوامع(١).

هذا وقد كان جامع القلعة فى بعض الأحيان يستخدم كسجن مؤقت، وذلك عندما أصدر السلطان قانصوه بن بيبردى الغوري الأشرفى(٢) (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م)، أوامره عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م بالقبض على عبد العظيم الصيرفي الذى كان موجودا أنذاك بالجامع، وذلك دون مراعاة حرمة وقدسية المكان، حيث تم القبض عليه، وتكبيله بالقيود واحتجازه بعضا من الوقت داخل الجامع(٣)، وبذلك يكون قد استخدم الجامع كسجن مؤقت لعبد العظيم الصيرفى وذلك لحين صدور أوامر أخرى، مما يعد انتهاك وتجاوز فى حق المسجد.

كما استخدم سطح مسجد السلطان حسن فى إطلاق النار ونصب المكاحل(٤) من أعلاه خلال خلال الثورات المتعددة التي اشتهر بها حكم المماليك فى مصر، فكثيراً ما تصارعت الأحزاب وتراشقت بالنيران من أعلى القلعة، ومن سقف مسجد السلطان حسن المواجه لها، الأمر الذى ترتب عليه تشويه جدرانه جراء إطلاق الرصاص، وتم إزالة قبته ومئذنته الأصلية(٥). وزاد الطين بلة عندما أمر السلطان برقوق بهدم درجاته الأنيقة وإغلاق بابه الضخم، هذا وقد تم إغلاق المسجد كلية لمده تزيد عن نصف القرن، وكان الطلاب والمصليون يدخلون من النوافذ أو أحد الأبواب الجانبية، وقطعت الخطبة وصلاة الجمعة به، وذلك بعد أن نهب رخامه وبسطه وقناديله(٦). وهذا كله يعد انتهاك لحرمة المسجد.

وكان ما حدث في أواخر دولة المماليك بمصر، يُعد من أبشع الانتهاكات لحرمة أماكن العبادة الاسلامية بمصر المملوكية، فقد صاحب دخلول السلطان سليم العثماني(٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-

(١) ابن إياس: المصدر نفسه والجزء، ص٦٩٣.

(٢) المللك قانصوه الغوري: تولى السلطنة بعد قتل السلطان السابق وهو العادل طومانباي في سنة٩٠٦هـ/١٥٠٠م، ومن صفات الغوري أنه ذو فطنه ويقظه ودهاء كبير، وكان شديد الطمع، ظالماً بخيلاً، ودخل الحرب ضد السلطان سليم الأول العثماني وقتل في موقعة مرج دابق بالشام سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م. لمزيد من التفاصيل حول السلطان الغوري. راجع المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٤٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص١٠٣٩-١٠٤٢؛ ابن زنبل: آخرة المماليك، ص٧٧-١١٤؛ القرماني: أخبار الدول، جـ٢، ص٣٢٣-٣٢٧.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٧٧٦.

(٤) المكاحل: جمع مكحل والمكحل هو المدفع، وهي آله حربية تقذف النفط المشتعل بالنار، وهي وظيفة يسمى متوليها المكحل أي مسئول مكاحل البارود. ابن أربغا الزردكاش: الأنيق في المنجانيق، تحقيق، إحسان هندي، دار الكتب الوطنية أبوظبي، ط١٣، ٢٠١٣م، ص٣٤؛ ابن زنبل: آخرة المماليك ص٣٠٨؛ محمد أحمد دهمان: معجم الالفاظ، ص١٤٣.

(٥) المقريزي:السلوك، ج٥، ص٨٢؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص ٢١٣، ٢٤٠، ، جـ٢، ص ٦٢٢، ٦٢٤، ٦٧٥؛ ستانلي لينيول: سيرة القاهرة، ٢٠٢-٢٠٣.

(٦) المقريزي: المصدر نفسه والجزء والصفحة؛ ابن إياس: المصدر نفسه، والأجزاء والصفحات؛ ستانلي لينيول: المرجع نفسه والصفحات.

١٥٢٠م)[١] مصر في عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م طرد المماليك من بولاق وجزيرة الفيل، كما قام العثمانين بمهاجمة زاوية الشيخ عماد الدين الكائنة بالناصرية، فقبضوا على المماليك الجراكسة الموجودين بالزاوية، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل نهبوا الزاوية واخذوا قناديلها وحصرها، وزاد الطين بله قيام العثمانيون بقتل جماعة من العوام صغاراً وشيوخاً مما احتموا بالزاوية، فضلا عن قيام طائفة أخرى من عسكرهم بالهجوم على مشهد السيدة نفيسة[٢] رضي الله عنها وأرضاها، فدخلوه في وحشية بالغة وداسوا على قبرها الشريف، ونهبوا ما به من شموع وبسط وقناديل، كما قاموا بقتل عدد ليس بالقليل من المماليك الجراكسة والعامة عند مشهدها، كانوا قد احتموا به عقب فراره من أمام جحافل العثمانيين[٣].

كما لم يسلم جامع المؤيد شيخ[٤] المنسوب للسلطان المؤيد شيخ المحمودي[٥] (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) من عبث عساكر العثمانيين فقد تم انتهاكه هو الآخر إذ صعد مجموعة من العساكر إلى أعلى مآذنه، وقاموا بإطلاق النار على الناس بالجامع لمنعهم من العبور من باب زويلة، فصعد إليهم مجموعة من المماليك الجراكسة وتقاتلوا سويا قتال شديدا انتهى بقتلهم جميعا بمآذن الجامع[٦].

واستمرارا من عساكر السلطان سليم العثماني في البطش والتنكيل بالمماليك الجراكسة وكذلك العامة، قاموا باستباحة حرمة جامع شيخو[٧] وقاموا بإضرام النيران فيه حتى وصلت ألسنة اللهب

(١) هو سليم بن يزيد بن بليدرم بن أرخان بن أردن بن عثمان بن سليمان بن سليمان بن عثمان الكبير، وشهرته ابن عثمان، ملك مصر عنوة بعد قتل السلطان قنصوة الغورى فى موقعة مرج دابق ومن ثما دخوله إلى مصر =والاستيلاء عليها وقتل السلطان طومان باى، مرض أواخر أيامه وتوفى عام٩٦٢هـ/١٥٢٠م. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ١٠٨٠-١٠٨١.

(٢) السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق، وقد قيل أنها دخلت مصر مع أبيها، وكانت من الصالحات، وكانت طيلة حياتها تقيم بنفس مشهدها إلي أن توفيت في شهر رمضان لعام٢٠٨هـ/٨٢٣م وقد دفنت به، ومشهدها يزار ومعروف بإجابة الدعاء عنده، ويقع هذا المشهد بخط درب السباع بالقاهرة. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ج٥، تحقيق إحسان عباس، دارصادر، بيروت— لبنان، ١٩٦٩م، ص ٤٢٣-٤٢٤؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٤٤٠-٤٤٢.

(٣) المقريزي: المصدر نفسه والجزء، ص٤٤٠-٤٤٢؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٠٨١-١٠٨٢؛ ابن زنبل: آخرة المماليك، ص ٢٨-٢٩.

(٤) جامع المؤيد شيخ: من أكبر الجوامع بالقاهرة، يقع بجوار باب زويله، وكان بموضع بنائه السجن المعروف بخزانة شمايل، وكان به روائح نتنته، وقد سجن سجن به المؤيد شيخ من قبل، فقال إن أنعم الله علي وأصبحت سلطان مصر، سأهدم هذا السجن وأبني جامعاً مكانه، وبالفعل تولى السلطنة وأمر ببناء الجامع، وأوقف عليه أوقافاً كثيره، وتم الإنتهاء من عمارته عام ٨١٩هـ/١٤١٦م. المقريزي: المصدر نفسه والجزء، ، ص٣٢٨-٣٣٠.

(٥) السلطان المؤيد شيخ: هو أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، وهو من مماليك الملك الظاهر برقوق، وكان من جملة مماليكه، ثم أعتقه بعد سلطنته، ورقاه حتى صار خاصكياً ثم ساقياً، واستمر على ذلك حتى موت برقوق، ثم تمكن من القبض على الملك الناصر فرج وقتله، وتولى السلطنة في عام٨١٥هـ/١٤١٢، وقد لقب بالمؤيد. لمزيد من التفاصيل راجع. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ١٥٧-١٥٩. المقريزي: المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٤٣؛ العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق، فهيم محمد علوي شلتوت، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٦) المقريزي: المصدر نفسه والجزء، ص٣٢٨-٣٣٠؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص١٠٨١؛ ابن زنبل: آخرة المماليك، ص٢٩.

(٧) جامع شيخو: قام بإنشائه الأمير سيف الدين شيخو الناصري، في عام٧٥٦هـ/١٣٥٥م، ويقع هذا الجامع بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل، ويعد ويعد هذا الجامع من أجمل جوامع مصر كلها. المقريزي: الخطط، ج٢، جـ٢، ص٣١٣-٣١٤.

إلى سقف إيوانه الكبير وكذلك القبة، فلم يراعوا حرمة الجامع وكان إقدامهم على هذا الفعل لكون السلطان طومان باي كان يتخذه ملجأ له أثناء محاربته للعثمانيين(١).

كما تم انتهاك حرمة الكثير من المساجد والمدارس فضلاً عن العديد من المزارات وذلك من قبل عساكر العثمانيين، فى محاولة منهم للبحث عن المماليك الجراكسة والقبض عليهم، هؤلاء المماليك الذين لجئوا للاحتماء من عساكر العثمانيين، بالاختباء بالجوامع والمدارس، وكذلك المزارات لما لها من قدسية في نفوس المسلمين، واعتقادا منهم بأن عساكر العثمانيين لن تدخل أماكن العبادة، ولكن خالفهم الظن فى ذلك حيث هاجم العثمانيون الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله الفاطمي وجامع أحمد بن طولون(٢)، وغيرها من الجوامع والمساجد، ولم تنج المدارس والمزارات من هجمات وعبث وبطش جيوش العثمانيين، فقد تمكنوا من إلقاء القبض على عدد كبير من المماليك الجراكسة، ومن لم يتمكنوا من الإمساك به من المماليك أطلقوا النار عليه سواء أكان داخل الجامع أو الزاوية أو المدرسة، ودون مراعاة حرمة تلك المقدسات الاسلامية، وهو ما يدل على أن هدف العثمانيين الأساسى القضاء على دولة المماليك الجراكسة، دون النظر إلى الوسيلة المستخدمة فى عملية القضاء تلك وما يترتب عليها من انتهاكات ومخالفات لاتقرها الأحكام الشرعية(٣).

ثانياً:انتهاك حرمات المساجد لأسباب اقتصادية في مصر خلال العصر المملوكي:-

في عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م تم انتهاك المساجد وذلك عندما قامت الدولة بتسخير الحجارين للعمل في إنشاءات الدولة، فأخذت الناس بالقوة من الأسواق والمساجد والجوامع فى السحر وبعد صلاة الصبح، من داخل المساجد ومن أمامها(٤).

وفي عام٧٤١هـ/١٣٤٠م تجددت خروقات حرمات المساجد في القاهرة، وذلك عندما علم العوام بإلقاء القبض على الأمير قوصون الناصري(٥)، فقاموا بنهب خانقاته الواقعة خارج باب القرافة، كما كما نهبوا جامعه(٦).

---

(١) المقريزي: المصدر نفسه والجزء، ص٣١٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص١٠٨١-١٠٨٢؛ ابن زنبل: آخرة المماليك، ص٣٠.

(٢) جامع بن طولون: أمر بإنشائه الأمير أحمد بن طولون في عام ٢٦٥هـ/٨٧٩م، ويقع الجامع بمدينة القطائع، شرق حي السيدة زينب جنوب القاهرة، ومن أهم مايميزه مساحته الكبيرة ومئذنته الملوية، ويعد أقدم المساجد بمصر ولازال محتفظا بكامل عمارته. المقريزي: المصدر نفسه والجزء، ، ص٢٦٥-٢٦٩؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص١٧٤-١٧٥.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص١٠٨٣؛ ابن زنبل: آخرة المماليك، ص٣١.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٢٢٩؛ حياة ناصر الحجي: أحوال العامة، ص ٣٠٥-٣٠٦؛ عزت سليمان: الحياة الإقتصادية لأصحاب الحرف في مصر المملوكية، عدد٢٣، مجلد١٥، مجلة كلية التربية الأساسية، العراق، ٢١٠٩م، ص١٠٥١.

(٥) هو الأمير قوصون الناصري، يُعد من أكبر مماليك الناصر محمد فقد اشتراه ومن ثم جعله ساقيا، ثم أمير مائة ومقدم ألف، ونال الحظوة لدى السلطان فقربه منه، منه، كما قام السلطان بتزويجه من ابنته في عام٧٢٧هـ/١٣٢٦م، فتزايد أمره حتى استبد بالأمر كله، وقام بنفي ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى قوص، واغتر بكثرة عدد مماليكه، فقد قيل بأنه كان يملك٧٠٠مملوك تقريباً. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، تحقيق، علي أبوزيد وأخرون، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١، ١٩٩٨م، ص٦٠١-٦٠٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ٣، ص٢٥٧-٢٥٨؛ ابن تغرى بردى: المصدر نفسه، جـ١٠، ص٣٨-٤٦.

(٦) المقريزي: السلوك لمعرفة دولة الملوك، جـ٣، ص٣٥٥، ٣٥٤؛ الخطط، جـ٢، ص،٣٠٧، ٤٢٥ ابن حجر: المصدر نفسه والجزء، ص٢٥٨؛ ابن إياس: إياس: بدائع الزهور ، جـ١، ص١٥٢. للمزيد حول خانقاة وجامع الأمير قوصون. أنظر اليوسفي : نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٢٨٣؛.

كما تم تخريب جامع قوصون القريب من بركة الفيل[١]، حيث أخذ عمودين من المحراب، بأمر من السلطان المؤيد شيخ المحمودي، لبناء مسجده[٢].

وفى ٧٤٩هـ/١٣٤٩م وقع وباء كبير في مصر كلها[٣]، أدى إلى موت عدد كبير من الناس، إذ لم يجدوا أماكن لدفنهم، ونذكر على سبيل المثال ما حدث فى مدينة (بلبيس) وهى من الأعمال الشرقية، التي إمتلأت مساجدها بالموتى فلم يجدوا من يدفنهم، مما كان له بالغ الأثر في عدم الذهاب للمساجد لأداء الصلاة نظرا للروائح غير المرغوب فيها والتى نتجت من جثث الموتى[٤].

وفي عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، طلب الأمير خاير بك بن حديد[٥] من السلطان الأشرف أبو النصر النصر سيف الدين قايتباي المحمودي الظاهري(٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٥م)[٦]، في إقطاع الأمير يشبك الدوادار[٧] فلم يوافقه السلطان على ذلك، فذهب إلى بيته مغاضباً، ثم توجه إلى جامع قيدان[٨]، فأقام به عدة أيام، حتى أرسل إليه السلطان قانصوه خمسمائة، فقيده

(١) بركة الفيل: تقع فيما بين مصر والقاهرة وهي ذات مساحة كبيرة جداً، وكانت موجوده في القديم دون بناء، وعندما تم بناء مدينة القاهرة الفاطمية، أصبحت أمامها البركة، وقام الناس بعد ذلك بالبناء عليها، فعمرت وأصبحت مساكنها أجل مساكن مصر كلها وكان ذلك في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٦١-١٦٢.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ١٥٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذا الوباء انظر.المقريزى: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق، كرم حلمي بركات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م ص ٣٣-٣٥؛ قاسم عبده قاسم: فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٤) ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الامصار، جـ٢، ص٥١؛ المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٠٩؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص١٨٣، ١٦٥؛ حياة ناصر الحجي: أحوال العامة في حكم المماليك، ص ٣٦١-٣٦٤.

(٥) الأمير خاير بك بن حديد: كان خاصكياً وخازنداراً ثم قربه الظاهر جقمق إليه حتى صار دواداراً، ثم في أيام الأشرف قايتباي أمير طبلخاناه ثم أحد المقدمين. لمزيد من التفاصيل. راجع السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام، ج٢، تحقيق، حسن إسماعيل مروة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٦٠-٣٦١؛ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ٣، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٦) قايتباي: هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي، نسبة إلى تاجره، وهو من المماليك الجراكسه أتى إلى مصر سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م، ٨٣٩هـ/١٤٣٥م، وقد اشتراه الأشرف برسباي، وقد تولى الحكم بعد خلع السلطان تمربغا (٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، واستمر قايتباي بالحكم لمدة تزيد عن تسعة وعشرون عام، وقد اشتهر عنه إهتمامه بالمنشأت الدينية والعسكرية والمدنية، ولا سيما قيامه بإجراء أعمال الترميم والصيانة بالعمائر السابقة التي شيدها السلاطين والملوك السابقيين، وتوفى عام٩٠١هـ/١٤٩٥م. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٤٤؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص٣٩٤-٣٩٥.

(٧) يشبك الدوادار:هو الأمير يشبك من مهدي الدوادار، كان أميراً مقدماً عند السلطان قايتباي المحمودى، وقد كانت له إسهامات كثيرة في محاربة العربان، واشترك في الحروب الخارجية لسلطنة المماليك في أكثر من مرة، وكان له إقطاع كبير جداً، واستمر معظماً حتى وفاته في عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م. السخاوى: الضوء اللامع ، جـ١٠، ص٢٧٢-٢٧٤.

(٨) يقع هذا الجامع خارج مدينة القاهرة، وكان قديم البناء فعمل على تجديده الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي في سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، وبعد ذلك قام الأمير الأمير مظفر الدين قيدان الرومي بعمل منبر للجامع لإقامة خطبة الجمعة، وكان عامراً بما حوله من العمار، وتعرض الجامع للتعطل والخراب ولم يبقى منه غير جدر متهالكة، وبعدذلك جدد على يد مقدم بعض المماليك السلطانية سنة٨٣٠هـ/١٤٢٦م ثم وسع فيه الشيخ أحمد الشهير بالأزراري، وتوفى عام٨٤٣هـ/١٤٣٩م، هذه هي جميع التجديدات التي لحقت الجامع.المقريزي: الخطط، جـ٢، ص، ٣١٢-٣١٣.

بالحديد وهو بالجامع، وأخذه مقيداً ثم صعد به إلى القلعة فوبخه السلطان بالكلام وأمر بنفيه إلي دمشق[١].

وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٠من جمادى الأولى لسنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، ثار جماعة من المماليك الجلبان[٢]، وقاموا بالذهاب إلى المدرسة البوبكرية[٣] والفخرية[٤] فأحرقوا ونهبوا الكثير من من فرشها وقناديلها[٥]، وهو ما سيؤثر حتما على المساجد الملحقة بتلك المدارس خاصة وأن العرف قد جرى على تخصيص مكان داخل المدارس الكبرى واعتباره مسجد يؤدى فيه الطلاب مناسك الصلاة حتى لا تشغلهم الدروس عن مواعيد ومواقيت الصلاة.

وفي عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م ثار مماليك أقبردي الدوادار عليه، وحاصروه في بيته، وطلبوا منه زيادة في حقوقهم المتعارف عليها وهى الجوامك[٦]، فبعث إليه السلطان قايتباي المحمودي، الوالي[٧] فقبض على جماعة من مماليك أقبردي فضربهم بالمقارع وقطع أيدي جماعة أخرى، وفر الباقون إلى الجامع الأزهر، وظلوا به أياماً، ثم تم إلقاء القبض عليهم، وأمر بنفي مجموعة منهم

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٩٩-٥٠٠.

(٢) المماليك الجلبان أو الأجلاب : هى فرقة من المماليك يشترى السلطان جنودها لنفسه؛ وكانوا من الشباب اليافع الذين تخطوا سن البلوغ والذين زاد نفوذهم وسلطانهم وزاد تدخلهم فى أمور السلطنة وشئونها بدرجة عجز معها السلاطين والأمراء عن ردعهم، والحوادث التى قام بهاالجلبان كثيرة ومتعددة ولمزيد من التفاصيل عن هذه الفرقة من المماليك وثوراتهم . انظر.ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٩٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور ، ج٣، ص ٨٢، ٩٤، ج٤، ص١٦ وما بعدها، ج٥، ص٤٦٥؛ قاسم عبده قاسم: فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٧٤- ٢٧٦؛ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى- عصر سلاطين المماليك، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤، ص٥٩-٦٠؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٢.

(٣) المدرسة البوبكرية: تقع بجوار درب العباسى بالقرب من حارة الوزيرية بالقاهرة، قام ببنائها سيف الدين أسنبغا بن الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرى الناصرى فى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م، وقد تم تجديدها فى عام ٨٧٥هـ/١٤١٢م، وأضيف لها منبر و أقيمت بها الجمعة. المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٣٩٠-٣٩١.

(٤) المدرسة الفخرية تم بناؤها سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، وتنسب للأمير فخر الدين عثمان بن قزل البارمى، وتقع فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس. المقريزى: المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٦٧؛ على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلدانها القديمة والشهيرة، المطبعة الكبرى الآميرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٣١-٣٢؛ أيمن شاهين سلام: المدارس فى العصر الأيوبى، ص ١٧١ .

(٥) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص١٠٦؛ ابن تغرى بردى: مورد اللطافة فيمن تولى السلطنة والخلافة،ج٢، تحقيق، نبيل محمدعبدالعزيز، دارالكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٤١-١٤٢؛ ابن إياس: بدائع الزهور ،جـ٢،ص٥١٦.

(٦) الجوامك: هي جمع جامكية وهي كلمة فارسية معربة، ومعناها العطاء والراتب والأجرة وما في هذا المعنى، وتخصص هذه الكلمة للمال المخصص للملابس، وبعد ذلك أصبحت علماًعلى أجرة ورواتب الموظفين. رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة وتعريب، محمد سليم النعيمي وآخرون، ج٢، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ط١، ١٩٧٩م، ص١٢٧.

(٧) الوالي:هو قيت بن قائم الأشرفي الساقي، متولي القاهرة في شهر ربيع الأول سنة٨٩٥هـ/ شهر يناير١٤٩٠م، واستمر في ولايته إلى أن مات في شهر جمادى الأخرة سنة٨٩٧هـ/ شهر أبريل سنة ١٤٩٢م. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٥٦٠؛ أحمد عبد الرازق: شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك، ص١١١؛ سحر بنت علي: ولاة القاهرة الكبرى خلال العصر المملوكي، ص٢٤٩.

إلى إقليم قوص[١] بالصعيد، ومجموعة إلى بلاد الشام، وبعد ذلك استتب الأمر قليلاً جراء هذا النفي[٢].

فى عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م في عهد السلطان قانصوه خمسمائة قام المماليك الجلبان الذين نزلوا بالأزبكية[٣] مع الأتابكي تمراز ومع تاني بك قرا، بنـــهب جـــامع الأزبكية فأخذوا القناديل والحصر الموجودة به لبيعها[٤]، وهو ما يعد انتهاكا لحرمة المسجد ذلك الانتهاك الذى جاء بدافع البحث عن الأموال دون مراعاة لقدسية ذلك المكان.

وبالنسبة لبعض الأفعال المنهي عنها بالمساجد نذكر منها على سبيل المثال، أن الناس كانوا يجتمعون في المسجد لحساب المال ولا يجتمعون للصلاة، إذ ليس فيهم راكع ولا ساجد، حتى فى يوم الجمعة إذا صعد الخطيب المنبر لالقاء الخطبة، زجر الفلاحون وقاموا بالصياح فى حساب الزرع، وهو ما دفع أحدهم إلى القول: "يا جماعة اسمعوا للخطيب واحسبوه ككلب ينبح" ولكن لم يستمع أحد له وظلوا على ما هم عليه [٥]، منشغلين عن الصلاة وأدائها وعن الانصات لخطبة الجمعة من أجل الأموال، دون مراعاة لقدسية مكان العبادة الجالسين فيه، ولاشك أن هذه حالة فردية لا يمكن تعميمها، ولكن فى الوقت نفسه تبين مدى التهاون من البعض فى قدسية المكان.

ثالثاً: انتهاك حرمات المساجد لأسباب مذهبية ودينية في مصر خلال العصر المملوكي:-

اندلعت النار في عدد من مدن مصر وبخاصة القاهرة والفسطاط خلال العصر المملوكى، وصارت أياما حتى لحقت النار بالمساجد والجوامع واندلعت النار بحارة الباطلية[٦]، وبعدها كثر الحرق في كل مكان، واتهم في ذلك النصارى، ووجدت لفائف من القماش والكبريت والنفط على الأسطح، فقام السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، بمعاقبة النصارى ممن قامت عليهم الحجة،

(١) قوص: مدينة كبيرة عظيمة وواسعة وهى قصبة صعيد مصر، ضمن الإقليم الأول. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص٤١٣.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٥٦٠.

(٣) الأزبكية: تنسب الأزبكية للأمير المملوكي أزبك من ططخ الأشرفى قائد الجيش في عهد قايتباي المحمودي، وبنى الأزبكية التي كانت تعرف باسم خرائب عنتر، وبني بها جامعاً وحماماً وقصوراً تحاكى بركة الرطلى.السخاوى: الضوء اللامع، جـ٢، ص٤٧٠-٤٧٢.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور ، جـ٢، ص ٦٠٨-٦٠٩.

(٥) الشربيني: هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف ، المطبعة الآمرية، بولاق- القاهرة، ط٢، ١٣٠٨هجرية، ص ٦-٧، ٣٤.

(٦) حارة الباطلية: تعرف بطائفة يقال لهم الباطلية، ظهرت إبان بداية العصر الفاطمي بمصر، عندما قام الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بتقسيم العطاء في في الناس، فتأخرت طائفة فسألت عطائها فقيل لها فرغ ما كان حاضراً ولم يبق شئ فقالوا رحنا في الباطل، فسموا بالباطلية فسميت الحارة باسمهم. لمزيد حول حارة الباطلية. أنظر ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الامصار، جـ٢، ص٣٧؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٨.

عقاباً شديداُ وذلك في عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م[١]، وترى الباحثة أن هذه الأحداث قد وقعت من قبل النصارى كردة فعل منهم لهدم كنائسهم، فقد أمر السلطان الناصر محمد بن قلاون في سلطنتة الثالثة، في عام٧١٩هـ/١٣١٩م، والى القاهرة[٢] بهدم كنيسة (بربارة)[٣] الكائنة بحارة الروم[٤] بالقاهرة، وأمر ببناء محراباً مكانها وعلقوا فيه قنديلاً وأقاموا فيه الأذان والصلاة، وأظهروا شعائر الإسلام من التسبيح وقراءة القرآن، وبعد فترة أمر السلطان بمنع الصلاة فيها وسد بابها، وجعلت مزبلة يلقى فيها السكان من المسلمين زبائل منازلهم فيها فصارت مزبلة كبيرة، كما أمر السلطان الناصر، بإراقة الخمور، وذلك في عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، وكان سبب ذلك كثرة المنكر الذي حل من قبل، فأريقت الخمور في كل مكان، ولما سأل السلطان الفقهاء عن سبب ذلك قالوا: ذلك من الجور والظلم، وإظهار الفواحش في كل مكان، خاصة بالقرب من المساجد والمدارس والخوانق،إذ بجوارهم الخمارات وحانات البغاء[٥].

وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون أيضاً، فرضت بعض القيود على أهل الذمة مثل التزي بزي معين، كما تعرضوا للاضطهاد وذلك نتيجة لسلسلة من الثورات والاضطرابات التى قاموا بها، الأمر الذى دفع السلطان إلى إصدار مرسوم يأمر فيه بتخريب وتدمير عدد من الكنائس، فاستمرت عملية هدم الكنائس من قبل العامة في أنحاء البلاد وخاصة بمدينة الأسكندرية، حتى وصل عدد الكنائس التي هدمت إلى سبع كنائس، وكردة فعل من قبل النصارى تجاه الإجراءات التى أصدرها السلطان الناصر محمد وفى محاولة منهم للتخلص منها قاموا باستعمال القوة، فكونوا جماعة منهم أطلقت على نفسها اسم "المجاهدين"، وذلك خلال شهر واحد من أول عملية هدم للكنائس، وأول ما قاموا به كان إشعال النيران في بعض المساجد والجوامع، ومن بين الجوامع التي لحق بها الحريق جامع أحمد بن طولون وما حوله، وقد تبين للناس أن النيران التي اندلعت بالمساجد كانت عن طريق الإحراق بالعمد والدليل على ذلك ما عثروا عليه من القماش المشبع بالزيت والقطران، وقد تم الإمساك بطائفة من هؤلاء النصارى معهم قوارير من النفط، كما ضبط

(١) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٧٤؛ المقريزي: السلوك، جـ٢، ص٢٥؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٧٢٦ –٧٢٧؛ حسن المحاضرة، ج٢، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، دمشق، ط١، ١٩٦٨م، ص٢٩٥.

(٢) والى القاهرة: هو الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله المسروري، المعروف بالخازن، تولى شرطة القاهرة سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، واستمر في ولايتها حتى عزل في ١٣من رمضان سنة ٧٢٤هـ/٣من سبتمبر سنة١٣٢٤م، وتوفى عام ٧٣٥هـ/١٣٣٥م، وكان يبلغ من العمر تسعين عام. المقريزي: تاريخ الأقباط– المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي، تحقيق، عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة (د.ت)، ص١٩٣؛ أحمد عبد الرازق: شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك، ص٦٦.

(٣) كنيسة بربارة: تقع بقصر الروم بجوار خوخة خبيصة يفصل بينهما مسجد، وتنسب إلى القديسة بربارة الراهبة، وهي كنيسة كبيرة لها مكانه مقدسة عندهم. ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، جـ٢، ص١٠٧؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٥١١.

(٤) حارة الروم: كانت تعرف بحارة الروم، وحارة الروم الجوانية، وكذلك تعرف بحارة الروم السفلى وحارة الروم العليا، وقد أمر الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي بهدمها فهدمت ونهبت من قبل العامة وذلك في عام ٣٩٩هـ/١٠٠٨م. المقريزي: المصدر نفسه والجزء، ص٨.

(٥) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٢، ص ٢٢٠–٢٥٨،٢٢١.

أحدهم داخل مسجد الظاهر بيبرس وبيده جرة مبللة بالنفط والقطران وهو يوقد فيها النار، وقد اعترف بأن هذه الاعمال كانت منظمة ومرتبه، كما اعترف راهبان بعد التعذيب بأنهما أشعلا النيران بالمساجد عمداً فتمت معاقبتهم، وقد استدعى بطريك القبط[١] فأعلن أن مشعلى النيران هم أفراد من غلاة المتعصبين، وقد أقر بعضهم بإلقاء النار بالمساجد والجوامع، والبعض الأخر لم يقر بشيء وظل يتحمل العقوبة، وذلك في شهر ربيع الآخر عام ٧٢١هـ/١٣٢١م[٢]، هذا ويوضح لنا النويري كيفية التحايل من قبل بعض النصارى، فيقول تحايل ثلاثة من النصارى وقاموا بلبس العمائم البيضاء وارتدوا نفس ملابس المسلمين، ودخلوا الجامع الظاهري في يوم الأحد الموافق ٢٣من جمادى الأولى من نفس العام، وقصدوا إحراقه، فقام المصلون بإمساكهم، وإرسالهم إلى متولي القاهرة الأمير علم الدين سنجر الخازن، كما هوجمت بيوت هؤلاء الثلاثة فوجدوا فيها عدد من آلات الحريق وقنابل جهزت بالزيت والكبريت، وغير ذلك من الأصناف المحرقة[٣].

وفي عهد السلطان عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون(٧٤٣-٧٤٦هـ/١٣٤٢-١٣٤٥م)[٤]، تحديدا فى سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م، شرع الأمير الحاج آل ملك[٥] ببناء جامعه بالحسينية، على أرض خزانة البنود[٦] التي كانت سجناً ثم صارت حارة تسكن فيها طائفة من

(١) بطريرك القبط: هو يوانس البطرك، وهو ترتيبه الحادي والثمانون من البطاركة بمصر، ويوانس هذا من أهالي ناحية نفية بالمنوفية، تولى البطريركية سنة٧٢٠هـ/١٣٢٠م وظل بها ست سنوات وسته أشهر، حتى وفاته في عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، ودفن بدير النسطور بظاهر مصر بيساتير الوزير بالرمل. ابن دقماق: الانتصار،جـ١، ص١٠٧؛ ساويروس بن المقفع : تاريخ البطاركة،ج٣ ،إعداد، الأنبا صموئيل، دار النعام للطباعة والتوريدات، القاهرة،١٩٩٩م، ص٢٥٩.

(٢) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٣، ص٩-١١؛ محمد بن قاسم بن محمد النويري السكندري: الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الأسكندرية، ج٣، تحقيق، عزيز سوريال عطية، دائرة المعارف العثمانية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٢١٣؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٥١٢-٥١٧؛ ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر، جـ٩، ص٣٠٦؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٧٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٣٠١؛ محمد =جمال الدين سرور: دولة قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص١٠٨؛ ستانلي لينيول: سيرة القاهرة، ص ١٩٢-١٩٣؛ قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك"دراسة وثائقية"، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الكويت، ٢٠٠٣م، ص ١٨٧-١٨٨؛ أسامة أحمد إسماعيل: الأسكندرية في عصر دولتي سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة الأسكندرية، ١٩٨٧م، ص١٤١.

(٣) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٣، ص ١٤-١٥.

(٤) السلطان عماد الدين: هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون، تولى السلطنة سنة٧٤٣هـ/١٣٤٢م، وذلك بعد عزل أخيه الملك الناصر أحمد باتفاق الأمراء. لمزيد من التفاصيل راجع. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٤٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٦٤-٦٥؛ القرماني: أخبار الدول، جـ٢، ص٢٨٤.

(٥) الأمير الحاج آل ملك: هو الأمير سيف الدين الحاج آل ملك، كان من أمراء المشورة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ثم ولاه السلطان الناصر أحمد، نيابة حماة، ثم تولى نيابة السلطنة في عهد السلطان إسماعيل بن محمد بن قلاوون وذلك في عام ٧٤٤هـ/١٣٤٣م، وكان أميناً عفيفاً. اليوسفي: نزهة الناظر، ص٢٧٢؛ المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق، محمد اليعلاوى، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩١م، ص٢٣٤-٢٣٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ١، ص٤١١.

(٦) خزانة البنود: كانت ملاصقة للقصر الشرقي الكبير، أمر ببناءها الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي، وكان بها عدد من الصناع في جميع الصناعات الصناعات وقد بلغ عددهم حوالي ٣٠٠٠ ألف صانع، وكان يوجد بها الرايات والأعلام وغيرهما من المتاع والآلات، وصار بها حريق وبعد ذلك صارت سجناً للأمراء والوزراء خلال الدولة الفاطمية، كما اتخذها ملوك الأيوبيين سجناً ايضاً، وفي عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون اتخذها منازل

الأرمن، وكان يحدث بها كثير من المفاسد، فأمر بهدمها الحاج آل ملك وبناء مسجداً مكانها، ومن الغريب أنه لم يصل أحد فيه وذلك لما كان من الفساد وسفك الدماء، وكثرة من دفن به من القتلى، فصار المسجد مغلقاً دائماً لا يصلى فيه أحد من الناس، وظل مهجوراً[١].

وفي العام نفسه نهبت منية الشيرج[٢]، حيث قام أحد الفقراء بضرب أحد النصارى، وذهب هذا الرجل الفقير إلى الجامع لأداء صلاة الجمعة، فإذ ببعض النصارى يقتحموا الجامع ويقوموا بضربه هو ومن معه[٣].

وأيضا من أمثلة انتهاك حرمات المساجد من قبل النصارى ماكانوا يقومون به من دق لنواقيس الكنائس أثناء خطبة وصلاة الجمعة، وهو ما أكده ما بعض المسلمين عندما ذهبوا إلى الجيزة بمكان يسمى أبو النمرس، حيث سمعوا صوتا عاليا، وعندما سألوا عن مصدره قيل لهم إنه صادر من الكنيسة، وينقس في كل ليلة حتى ليلة الجمعة والخطيب على المنبر، فسعوا إلى المحتسب في هدم الكنيسة، فكان لهم ما أرادوا حيث أمر بهدمها وتحويلها لمسجد[٤].

وفي عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م حدث بجامع عمرو بن العاص خلافا بين الشيخ سراج الدين البلقيني[٥] والشيخ بدر الدين بن الصاحب، الذى أتهمه الشيخ البلقيني بالكفر، وقد نسيا الشيخان أنهما بالجامع ولم يحرصاعلى الالتزام بحرمته [٦].

واستكمالا لسلسلة انتهاكات حرمة المساجد من قبل النصارى أقام أهل (برما)[٧] وهم من – النصارى– عام ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، عرسا بالمغاني والملاهى وفقا لعاداتهم، فقام المؤذن بالصعود للجامع، وأخذ يسبح بصوت عال، فهم بعض النصارى إلى الجامع وقاموا بإنزال المؤذن منه، فلما بلغ ذلك الأمر خطيب الجامع، انتصر للمؤذن كما ساعده إمام الجامع، واجتمع معهما أهل البلدة من المسلمين، وقاموا بحماية الجامع من النصارى، فتوجه بعضهم

للأسرى الفرنج وقاموا بفعل القبائح والرذائل، وكان الأمير الحاج آل ملك يسكن قريباً منها، فطلب من السلطان الناصر تعمير المكان بأسره فوافقه على ذلك. المقريزي: الخطط، جـ١، ص٤٢٣-٤٢٥.

(١) المقريزي: السلوك، جـ٣، ص٣٩٤-٣٩٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٥٥٠.

(٢) منية الشيرج: تعرف بمنية الأمراء، هي بلدة كبيرة بها أسواق وحمامات وبساتين وجامع وبها قصور ومنازل للسكنى، وبها كذلك سوق كبير يقام يوم الأحد من كل أسبوع ويباع به كل شيئ. ابن دقماق: الانتصار، جـ٢، ص٤٧؛ لمزيد من التفاصيل راجع. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص١٣٠.

(٣) المقريزي: المصدر نفسه، ج٢، ص٤٠٦-٤٠٧.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر بأنباء العمر، جـ١، ص١٧٧؛ مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣م/١٢٥٠-١٥١٧م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٨٢.

(٥) سراج الدين البلقيني: هو سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن مسافر بن محمد البلقيني الكناني الشافعي، شيخ الإسلام، تلقى العلم على أيدي العلماء الكبار، كما أثنى عليه العلماء وقيل عنه مجدد القرن التاسع، وتوفى عام ٨٠٥هـ/١٤٠٢م. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٧، ص٥١-٥٢

(٦) ابن حجر: إنباء العمر، جـ١، ص٢٦٢.

(٧) برما: وهي ناحية من الأعمال الغربية، التي قصبتها مدينة المحلة. ابن دقماق: الانتصار، جـ٢، ص٨٢، ٨٧.

إلى القاهرة وشكوا ما حدث للنائب، فأرسلهم إلى صاحب (برما) ويدعى جركس الخليل، فقام جركس بضرب(المؤذن والخطيب والإمام)، فلما بلغ ذلك السلطان سيف الدين أبو سعيد برقوق (سلطنته الأولى)(٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م)، أمر على الفور بإطلاق سراح الثلاثة، وإنصافهم على النصارى، وأمر بإحضار جماعة من النصارى، فضرب القاضي المالكي رقاب ستة منهم، الأمر الذى أدخل الفرح والسرور على جموع المسلمين [١].

ومن الملاحظ أن ابن خلدون قد أشار فى مؤلفه العبر لبعض أنواع البدع والانحرافات والمخالفات الدينية التى شاهدها وتصدى لها أثناء قيامه بالتدريس بالمدرسة الصالحية[٢]، وكذلك أثناء ولايته بالمدرسة الظاهرية(البرقوقية)[٣] والتى جاءت من قبل البعض من مدعى العلم والتدين أو الإنتماء إلى شيخ مشهور، وهو ماجاء فى قوله: "صدعت في ذلك بالحق، وكبحت أعنة أهل الهوى والجهل، وردتهم على أعقابهم، ومنهم أناس من بلاد المغرب وهم مشعوذون ولا ينتمون إلى شيخ مشهور واتخذوا الناس هزؤا وعقدوا المجالس وقد خلوا إلى أهل سكان الزوايا المنتحلين للعبادة، يحكمون بما يلقى الشيطان على ألسنتهم يترخصون به الصلاح، لايزعمهم الدين عن التعرض لأحكام الله بالجهل فقطعت الحبل في أيديهم، وأمضيت حكم الله فيمن أجاروا، وأصبحت زواياهم مهجورة وقد وشوا بي عند السلطان ولكنه لم يصغ إليهم، ونصرني الله عليهم"[٤].ومما لا شك فيه أن استمرار تلك المخالفات كان حتما سيؤثر على العملية التعليمية وعلى المساجد الملحقة بتلك المنشآت الدينية.

وفي عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م ثارت جماعة من صوفية الخنقاة البيبرسية[٥] على شيخهم جلال الدين السيوطي[٦]، وكادوا يقتلوه، ثم قاموا بحمله ورميه في فسقية الخنقاة بملابسه[١].

(١) ابن حجر: إنباء العمر، جـ١، ص ٢٧٣-٢٧٤؛ سماح عبد المنعم السلاوي: طائفة المؤذنيين في العصر المملوكي، ص١٦٦-١٦٧.

(٢) المدرسة الصالحية: تقع بين القصرين، أمر بإنشائها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، في سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م، وهي أول مدرسة رتب بها دروساً للمذاهب الفقهية الأربعة. لمزيد من التفاصيل حول المدرسة راجع. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣٧٤-٣٧٥؛ حمدي عبد المنعم حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص٢٧٣.

(٣) المدرسة الظاهرية البرقوقية: أمر بإنشائها السلطان الظاهر برقوق، في سنة٧٨٦هـ/١٣٨٤م، ومكانها بين القصرين بالقاهرة. ابن شاهين الملطي: نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق. محمد كمال الدين، عز الدين علي، ج١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص١١٨؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص١٩٣.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص ٣٢١؛ محمد بن تاويت الطنجي: رحلة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢٠٦-٢٠٧، ٢٢٦.

(٥) الخنقاة البيبرسية: أمر بإنشائها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري، وهو أمير قبل أن يتولى السلطنة وذلك في عام ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، وجعل بجوارها قبة بها قبره. وللمزيد حول الخنقاة. راجع المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٤١٧، ٤١٦.

(٦) السيوطي:هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري الأسيوطي، ولد سنة٨٤٩هـ/١٤٤٥م، نشأ في بيت علم إذ كان والده عالم من علماء الدين، وحصل السيوطي العلم وأهتم بالعلوم الدينية، وأصبح مدرساً للكثير من الطلاب، وقد ألف العديد من الكتب، وقام بالتدريس في

رابعاً: انتهاك حرمات المساجد لأسباب اجتماعية خاصة بالانحرافات والبدع في مصر خلال العصر المملوكي:-

كان شيوخ الطرق الصوفية يقوموا ببناء المساجد والزوايا في كل مكان، وذلك تماشياً مع انتشار ظاهرة التصوف التي اتصفت بها الحياة الدينية بمصر، والتى نشأت كحركة روحية تنصب على تأنيب ضمير الفرد على أخطائه مصحوباً برغبة خالصة في التوبة لله تعالى والزهد في الدنيا، وقد هيأت الأوضاع المحيطة بالعالم الإسلامي بوجه عام وبمصر بوجه خاص الظروف المناسبة لانتشار التصوف واتساع نطاقه(٢).

وفى إطار انتشار التصوف واتساع نطاقه ظهرت العديد من البدع والانحرافات المصاحبة له، والمخالفة للشريعة الاسلامية والتقاليد المتعارف عليها(٣)، خصوصا فيما يتعلق بانتهاك حرمات أماكن العبادة، ومن أمثلة ذلك الشيخ خضر المهرانى(٤) الذي أعطاه السلطان الظاهر بيبرس البندقداري الكثير من العطايا خاصة في عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، وقد كان للشيخ خضر في كل مدينة زاوية وله بها نواب، وهؤلاء النواب كانوا جميعاً على غير الطريقة الحميدة، فقد كانوا يقطعون الطريق ويحمون المفسدين ويرتكبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبخاصة إفساد النساء، هذا وقد قام الشيخ خضر بهدم كنيسة الروم بالإسكندرية وجعلها مسجداً وبنى فيها المحاريب وسماها بالمدرسة الخضراء نسبه إليه، كما رتب فيها الفقراء من جهته فكانوا يفعلون المفاسد ويحمون أرباب الجرائم من اللصوص وغيرهم ويرتكبون الفسق وغيره من القبائح، وذلك راجع إلى إسراف المتصوفة فى النظر إلى أنفسهم، مما جعلهم يغيروا من أخلاقهم شيئاً فشيئاً مع الزمن، وبالتالي انتشر بينهم الفساد الأخلاقي، الذى كان من المفترض أن يكون أبعد ما تتصف به هذه الفئة، نظراً لتمتعها باحترام الشعب والسلطة(٥).

الخنقاة البيبرسية، وبعد ذلك أنقطع عن الناس وظل ببيته، وتوفي في سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م. ابن إياس: بدائع الزهور جـ٢، ص٦٣٢؛ السيوطي: الوشاح في فوائد النكاح، تحقيق، طلعت حسن عبد القوي، دار الكتاب العربي، دمشق- سوريا، (د. ت)، ص٩- ٢٦.

(١) السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام، جـ٢، ص٤١٨، ٣٩٧؛ ابن إياس: المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٣٢.

(٢) محمد عبد السلام: الحياة الثقافية، ص١٢٥؛ إبراهيم رجب محمود: الحياة الثقافية في صعيد مصر منذ الفتح العربي الإسلامي وحتى قيام دولة المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب-جامعة الأسكندرية، ٢٠١١م، ص٨١.

(٣) جوزيف شاخت، كاليفورد يوزورث: تراث الإسلام، ترجمةحسن، يونس، ج٢، مجلة سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، ط٣، ١٩٩٨م،ص٦٢؛

Nicoholson:Literary Hisory of Arabs, Cambrdige, 1969,P.388,389.

(٤) الشيخ خضر: هو خضر بن أبى بكر بن موسى المهرانى العدوى، وقد أنشا هذه المدرسة التي لا تزال حتى اليوم تعرف بزاوية الشيخ سيدى خضر، بالقرب من جامع تربانه بالإسكندرية. النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص ٢٤١، ٢٤٤؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، ص٤٧٩.

(٥) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٢٤٢؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٤٣٠؛ ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر، جـ٨، ص٢٢٢؛ إبراهيم رجب محمود: الحياة الثقافية في صعيد مصر، ص٨٣.

أما بالنسبة لعمل الموالد بالمساجد والزوايا، فقد ذكر عدد من المؤرخين بأن الموالد المقامة داخل المساجد كان يكثر فيها فعل المنكر، فعلى سبيل المثال وليس الحصر ذكر المقريزي في أحداث سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م عن مولد الأنبابي قائلا: بأنه في هذه الليلة يعمل مولد في زاوية الأنبابي وهي بناحية منبوبة من الجيزة تجاه بولاق، فكان في هذا المولد من الفساد مالا يوصف(١).

كما كانت زيارة أضرحة الأولياء الكائنة بالمساجد والزوايا،لا تخلوا من المنكرات والمفاسد خلال العصر المملوكي، والتى لم تكن مقصورة على القاهرة فحسب بل شملت كل مدن مصر المملوكية، كما كانت تقام بها حلقات ذكر يصاحبها رقص وغناء وضرب للدفوف والمزامير وغيرهما من آلات الغناء والموسيقى(٢)، وهو ما يعد انتهاكا واضحا لحرمة المسجد كمكان للعبادة.

هذا وقد حدث فى منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، أمر غريب ممثل فى قيام أحد الرياضين الأجانب بشد حبل بين مئذنة مسجد السلطان حسن وبين القلعة وسار عليه، أمام الناس فأعجبوا ببراعته(٣)، فهو أمر غريب وجديد عليهم لم يشاهدوه من قبل، ولكنه فى الوقت نفسه يعد انتهاكا لحرمة ذلك المكان فكيف تستخدم مئذنة المسجد فى ممارسة الرياضة وفى تسلية الناس.

ومن النوادر التي حدثت في عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م، أن رجلاً يعمل بواباً بجامع الحاكم بأمر الله الفاطمي، صعد للسلطان أبي النصر قانصوه بن بيبردى الغوري الأشرفى، بالقلعة وقال له بأنه رأى بالمنام: دنانير من الذهب تحت بعض دعائم الجامع، فأرسل السلطان عدداً من المهندسين والبنائين، والرجل معهم ليدلهم على مكان الدعائم التي تحتها الدنانير، وقد اجتمع في ذلك اليوم عدد كبير من الناس، وكثر القيل والقال، وانتهى الأمر بتكذيب الرجل، ورفض السلطان هدم دعائم الجامع بناء على مشورة البعض(٤).

ومن النوادر كذلك ما حدث من نزول شخص غريب بإحدى القرى المصرية، وقد تصادف نزوله بتلك القرية مع صلاة الجمعة، فدخل المسجد للصلاة، وبينما هو بالمسجد رأى مع المصليين الموجودين فى المسجد قفة وسكيناً وخشبة، فلما سأل الإمام عن هذا الأمر قال له:" لابد من وجود تلك الأشياء مع الناس أثناء صلاة الجمعة وحتى أنا معي مثلهم"، وأضاف

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، جـ١، ص ٣٥٠-٣٥١ ؛ المقريزي: السلوك، جـ٣، ص ٣٦٣-٣٦٤، جـ٥، ص٢٠٧ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٢١٧؛ مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، ص ٢٨٠-٢٨١، ٢٩٤؛ صدام حسين خضير عباس السعدي : بعض مظاهر الفساد في المجتمع في عصر المماليك البرجية (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥٧١م)، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد ٢٢، العراق، ٢٠٢٢م، ص ٣٧٣-٣٧٤.

(٢) ابن الحاج: المدخل إلى الشرع الشريف، ج٢، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ص١٣٩؛ الإدفوي: الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، مطبعة الجمالية، القاهرة، ط١، ١٩٢٠م، ص٤١٦-٤١٨؛ المقريزي: المصدر نفسه والأجزاء والصفحات؛ ابن حجر: المصدر نفسه والجزء والصفحات؛ ابن إياس: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٣) المقريزي: المصدر نفسه والجزء، ص٨٢؛ ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ص٢٠٥.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٧٦-٢٧٧.

قائلا له بأن هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن هذا كلام ليس بالصحيح إذ أنه حديث مصحف(١)، مما يدل على جهل الإمام بأمور الدين، فلم يكن العلماء في العصر المملوكي على درجة واحدة من التفقه والعلم بأمور الدين بل كانوا متفاوتين فيه.

كما تم استحداث بعض البدع بالمساجد خاصة في شهر رجب من كل عام، فنجد في أول ليلة جمعة من هذا الشهر الحرام تصلى صلاة الرغاب(٢) بالجوامع والمساجد، فيجتمع الناس ويفعلون البدع فى إطار ممارسة هذه الصلاة، وكذلك الحال ليلة السابع والعشرون من نفس الشهر وهى ليلة الإسراء والمعراج من كل عام، والجدير بالذكر أن الكثير من النساء يحتاجون إلى قضاء الحاجة فبعضهن يفعلن ذلك في مؤخرة المسجد الجامع، وبعضهن يستحين أن يخرجن لقضاء حاجتهن فيدور عليهن إنسان بوعاء فيبلن فيه، فيأخذ الوعاء ويخرج به من المسجد فيخرج ما فيه من البول، ثم يعود إلى المسجد مرارا وتكرارا، وذلك مقابل مبلغ من المال وهذا حرام فضلا عما فيه من قبح وشناعة(٣).

ولقد تجاوز بعض الناس في حق احترام المساجد، فكانوا يأكلون ويشربون ويطعمون بها الطعام، وذلك لأخذ الحسنات، ولكن مع كثرة الطعام اجتمع الذباب فى المسجد كما تجمعت فيها القطط وتبولن فيه وبولهن نجس، وبذلك صارت المساجد مأوى للقطط المؤذية، وكذلك دخول السقاه بالماء وهم يحملونه على ظهر الحمير فتتبول الحمير بالمسجد(٤).كما كانت بعض النسوة تخرجن إلى سكك الطرق فيفعلن فيها من قضاء الحاجة ما يفعل، ثم يأتى الناس إلى صلاة الصبح فيمشون إلى الجامع فتصيب أقدامهم النجاسة أو نعالهم ويدخلون بها في المسجد فيلوثونه ودخول النجاسة للمسجد يعد من الآثام العظيمة(٥)، وهو أمر يتنافى مع قدسية هذا المكان .

أما بالنسبة لنبتة الحشيش(٦)، فقد أشار محي الدين بن عبد الظاهر في رسالته التي كتبها في إبطال الحشيش بعد الخمر، فيقول:" ....وتطهر المساجد والجوامع، .....ويتبين من ذلك إقبال الناس على الحشيشة بعد تحريم الخمر لرخص ثمنها، وتصف ما تفعله الحشيشة بمتعاطيها من تخدير حتى يمشى مختلط الفعل، مرتعش الخطو"، كما تشير الرسالة إلى أن

(١) الشربيني: هز القحوف، ص٣٨. لمزيد من التفاصيل راجع. مجدي عبد الرشيد بحر: المرجع السابق، ص ٦٨٦-٢٨٧. والحديث المصحف: هو الذي أبدلت منه كلمة من متن الحديث بكلمة أخرى تشبهها في صورة الكتابة. عزمي حسين الأخرس: المعجم الجامع، حرف الحاء، مكتبة الجامعة الأردنية، المملكة الهاشمية الأردنية، (د.ت)، ص٣١٢.

(٢) للمزيد حول صلاة الرغائب. أنظر ابن الحاج: المصدر السابق ، جـ٤، ص٢٤٨-٢٨٢.

(٣) ابن الحاج: المصدر نفسه، جـ١، ص٢٩٧.

(٤) المقدسي:أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ط٢، ١٩٠٩م، ص٢٠٥؛ الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٢، مؤسسة دار الشعب، القاهرة (د.ت)، ص٢٨٩؛ ابن الحاج: المدخل، جـ١، ص ٢٩٥-٢٩٦، جـ٢، ص ٢٣٠-٢٣٢؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣١٩؛ سهام محمود: المرجع السابق، ص١٤٧-١٤٩؛ حسين مؤنس: المساجد، ص٢٥، هامش.

(٥) ابن الحاج: المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٨.

(٦) نبتة الحشيشة: هي نبته قديمة معروفه منذ أوجد الله تعالى الدنيا، وقد استخدمها القدماء المصريين وكذلك اليونانيين. لمزيد من التفاصيل راجع. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص١٢٦-١٢٩.

الناس كانوا لايتورعون عن تعاطي هذا المنكر في الجوامع والمساجد، دون النظر لحرمة دور العبادة وما لها من مكانة كبير بقلوب المسلمين، والحرص على عدم انتهاكها بفعل المحرمات بها، فهى مخصصه في المقام الاول للعبادة(١)، بل الأدهى والأمر من ذلك أن الفقيه القاضي يوسف بن موسى(٢) قد أفتى بإباحة الحشيشة، فكتبت فيه أبيات شعرية جاء فيها:-

عجبت لشيخ يأمر الناس بالتقى*** وما راقب الرحمن يوماً وما اتقى

يرى جائزاً أكل الحشيشة والربا *** ومن سمع بالوحي حقاً تزندقاً(٣).

وترى الباحثة بأن ما قام به هذا القاضي من الإفتاء بإباحة الحشيشة ما هو إلا حالة فردية تعبر عن أهوائه فقط، ولم تصدر هذه الفتوى من علماء غيره.

خامساً: دور الدولة المملوكية في المحافظة على المساجد وحمايتها:-

يتمثل دور الدولة المملوكية في المحافظة على المساجد وحمايتها من خلال ما قام به بعض أمراء وسلاطين المماليك فى التصدى لبعض البدع والانحرافات والمخالفات والانتهاكات التى تعرضت لها المساجد خلال فترة الدراسة وهو ما نوهنا إليه فى الصفحات السابقة، بالإضافة إلى وجود المحتسب(٤)، وقد جاء كل ذلك تطبيقاً لقول رسول الله صلى الله علية وسلم في الحديث الشريف ""**جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَشِرَاءَكُمْ وَبَيْعَكُمْ وَخُصُومَاتِكُمْ وَرَفْعَ أَصْوَاتِكُمْ وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ وَسَلَّ سُيُوفِكُمْ وَاتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمِّرُوهَا فِي الْجُمَعِ**"(٥) فقد كان للمحتسب دور كبير في المحافظة على المساجد، خلال العصر المملوكي، وذلك من خلال الإشراف على عمارتها ونظافتها وكذلك صيانتها، ولا سيما الإشراف على المؤذنين والإمام والخطيب والفراشين والقومه وغيرهم ممن يعملون بالمساجد، وبخاصة وظيفة الإمامة والخطابة، ومن خلال إصدار أوامره للقومه بالوقوف على أبواب الجامع خاصة يوم الجمعة، وذلك لمنع دخول من هو غير أهل للصلاه، إذ في دخولهم ضرر على المصلين، يأتى من شغلهم عن الذكر والعبادة، فهم يشوشون عليهم في الصلاة، وبخاصة من كان منهم يقف ويحكي قصصاً وأخباراً، فينشغل الناس بسماع

(١) المقريزي: المصدر نفسه، ص١٢٦-١٢٩؛ صدام حسين خضير عباس السعدي: مظاهر الفساد، ص ٣٧٥-٣٧٦،.

(٢) يوسف بن موسى بن محمد الملطي الحنفي جمال الدين الحلبي، نشأ بمدينة حلب وبرع في علوم الفقه، فأحضره الظاهر وولاه القضاء، وقام بأفعال عجيبة إذ قرب الفساق وغيرهم، وكان يفتي بفتاوى غريبة. وكانت وفاته سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م. ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص٤٧٧.

(٣) ابن حجر العسقلاني: المصدر نفسه والصفحة.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٨٧؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ترجمة، محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م، ص١١٧؛

حياة ناصر الحجي: أحوال العامة في حكم المماليك، ص٢٤٥.

(٥) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج١، كتب حواشيه، محمود خليل، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٨م. رقم الحديث(٧٥٠)، ص٤٨١.

كلامهم وينسون ما أتوا من أجله، كما كان المحتسب يرسل أعوانه لمساعدة قومة المسجد في أيام الجمع وطوال شهر رمضان وفي الأعياد(١)، كما يمنع تعليم الخط للصبيان بالمساجد وذلك لما فيه من خطورة تهدد نظافة المسجد ونظافة جدرانه، فقد لاينتبه الصبيان للحبر فينسكب على الأرض ويقوم الصبيان بمسح أيديهم على الجدران فتتشوه (٢).

كما كان من مهام المحتسب القيام بهدم المساجد التي بنيت عشوائيا بالطريق الذى يسير فيه المارة، وذلك لأن الطريق للعبور أو للارتياد وليس للأبنية، فهنا نجد المحتسب يطبق الشرع فيمن خالف ذلك(٣)، ولا شك أن الدور الذى قام به المحتسب من مراقبة المساجد والإشراف خفف من حدة الانتهاكات التى تعرضت لها المساجد خلال العصر المملوكى.

الخاتمــة

بعد دراسة موضوع انتهاك حرمات المساجد في مصر خلال العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) يمكن التوصل إلى النتائج التي خرج بها البحث فيما يلي:-

١- أظهرت الدراسة أن المساجد تجد الرعاية من السلاطين والأمراء، وذلك راجع إلى السياسة التي انتهجها من قبل سلاطين بني أيوب واستمر عليها سلاطين المماليك.

٢- بينت الدراسة بأن المساجد تعرضت لانتهاك حرمتها لأسباب سياسية، إذ كان العصر المملوكي عصرا للفتن والاضطرابات المستمرة، مما كان له بالغ الأثر على الجانب السياسي في تلك الفترة الزمنية موضوع الدراسة، ولا سيما عدم تقدير حرمة المسجد نظراً للأوضاع التي كانت تمر بها البلاد.

٣- أظهرت الدراسة تعرض المساجد للعدد من الانتهاكات التي حدثت متزامنه مع دخول الغزاه، ومثال على ذلك عندما دخل القبارصة مدينة الأسكندرية دخلوا المساجد وقاموا بكسر القناديل التي بالمساجد، وقتلوا بعض المسلمين بها، فضلاً عن دخول العثمانيين لمصر سنة٩٢٢هـ/١٥١٦م وما تبعه من معارك وقعت بينهم وبين المماليك الجراكسة وبخاصة

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق، أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، ١٩٨٩م، ص ٨١-٨٢؛ ابن الأخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق، محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص١٧٢، ٢٦٣-٢٧٠؛ نظير حسان سعداوي: صورومظالم من عصر المماليك، ص٢٧-٣١؛ سهام محمود مصطفى: الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٤٦، ٢٢٦؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٥٧، ٢٥٦؛ حياة ناصر الحجي: أحوال العامة في حكم المماليك، ص٢٦٦-٢٦٧؛ مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، ص٢٨٨.

(٢) الشيرزي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، إشراف محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٦م، ص١٠٣؛ ابن الأخوة: المصدر نفسه، ص٢٦٠.

(٣) الماوردي: المصدر السابق، ص٢٥٨؛ سهام محمود مصطفى: المرجع السابق ، ص١٨٨.

موقعة الريدانية سنة٩٢٣هـ/١٥١٧م، فقد قام عساكر العثمانيين بالهجوم على المساجد والمدارس والزوايا والمشاهد، وقاموا بقتل من وجدوهمنهم.

٤- أكدت الدراسة على أن المساجد كانت تتخذ كملجأ ومكان للإختباء، مما عرضها للانتهاك من قبل البعض، كما حدث بجامع المقس بالقنطرة من ناحية القاهرة، وما حدث أيضاً خلال دخول العثمانيين لمصر مما أضطر بعض المماليك والكثير من العامة إلى الإلتجاء والاحتماء والاختباء بالمساجد والمدارس والزوايا والمشاهد، ولا سيما مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها وأرضاها.

٥- أوضحت الدراسة بأن مسجد القلعة كان يستخدم كسجن مؤقت، إذ يقوم مماليك السلطان بالقبض على من أمره السلطان بالقبض عليه، وقبل أن يرحل إلى السجن الدائم كانوا يأتوا به لمسجد القلعة، وبعد ذلك بأيام يرسل إلى السجن الدائم.

٦- بينت الدراسة بأن المساجد قد تعرضت لانتهاكحرمتها لأسباب إقتصادية، فقد كان ينهب مافى المساجد من قناديل و حصر وغيرها، وذلك أثناء فترة الإضطرابات التى تشهدها البلاد والتى كانت تحدث بكثرة، وكان المماليك الجلبان أول من يبادروا بسرقة المساجد دون مراعاة حرمة المساجد، كما أدى تردي الوضع الاقتصادي في بعض الأحيان إلى قيام بعض اللصوص بسرقة المساجد والمدارس والمشاهد فى محاولة منهم للحياة خاصة فترة الطواعين والأوبئة.

٧- بينت الدراسة بأن المساجد قد تم انتهاكها لأسباب مذهبية، وأن تلك الانتهاكات جاءت من قبل بعض النصارى المتعصبين.

٨- أظهرت الدراسةأن المساجد قد إنتهك حرمتها لأسباب خاصة بالإنحراف والبدع فنجد المساجد قد اتخذت مكاناً لعمل الموالد التي كان يصاحبها العديد من الأ فعال المنهي عنها.

٩- أوضحت الدراسة بأن بعض الناس كانت تقوم بتعاطي عشبة الحشيش بالمساجد، ونعلم جيداً ما تقوم به تلك الحشيشة من تخدير للعقلحتى يمشي الإنسان مختلط الفعل غير متوازن، وقد يقوم بفعل أشياء غير مباحه وهو لا يدري، ومما زادالأمر سوء قيام بعض القضاه بالإفتاء بعدم حرمة نبتة الحشيش، الأمر الذي ساعد على انتشاره ومن ثم رواجه.

١٠- بينت الدراسة دور الدولة المملوكية في المحافظة على المساجد وحمايتها، وذلك من خلال تصدى بعض السلاطين والأمراء لبعض تلك الانتهاكات، بالإضافة إلى الدور الذ قام به المحتسب، كما نوهت الدراسة كذلك إلى أن سلاطين وأمراء المماليك فى بعض الأحيان كانوا هم المتسببين فى انتهاك حرمات المساجد.

١١- أظهرت الدراسة تجاوزات بعض الناس في حق المساجد، فنجد منهم من استعمل المساجد استعملاً خاطئاً، فكانوا يأكلون ويشربون، ويرفعون أصواتهم ويفضون الخصومات التي تقع بينهم بالمسجد ، واجتماعهم بالمسجد لحساب المال لا للصلاة، كما يتنازعون فيما بينهم على الزرع والأموال وغيرها من الأفعال الغير مستحبه والمنهي عنها.

١٢- نوهت الدراسة على أن تلك الأمثلة التي حدثت بالمساجد كانت تحدث من قبل البعض من المسلمين، وهذا إن دل فإنما يدل على أنها أحداث فردية، فلا يجوز أن نحكم على الدين الإسلامي من خلال بعض الممارسات الخاطئة التي قام بها البعض، فمعظم المسلمين يعظمون ويمجدون بيوت الله (المساجد)، على مر العصور الاسلامية بدءًا من العصر النبوى وحتى الآن، فلا ننظر إلى البعض ونترك الكل.

ملخص البحث باللغة العربية

يتضمن بحث **انتهاك حرمات المساجد في مصر خلال العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مقدمة تضمنت أهمية الموضوع وسبب اختياره مؤكدة على أن ما حدث من انتهاك لحرمات المساجد خلال العصر المملوكى مجرد حدث عابر وليس ظاهرة أو أمر متأصل فى نفسية وطبيعة الشعب المصرى ، ولكن تم تسليط الضوء على تلك الأفعال لرصدها وتوضيح أسبابها وانعكاساتها على تلك المقدسات وعلى المجتمع المصرى.**

هذا وقد تضمن البحث الحديث عن الانتهاكات التى حدثت لأسباب سياسية وكيف أن الصراعات والمنافسات السياسية والثورات والانقلابات التى كانت تشهدها مصر خلال العصر المملوكى كان من ضمن نتائجها المساس بالمساجد، وأماكن العبادة، كما أن الأوضاع الاقتصادية المتردية والأوبئة والطواعين التى شهدتها البلاد فى بعض الأعوام تسببت هى الأخرى فى المساس بحرمة تلك المقدسات بحثا عن الأموال والنقود من خلال السطو على محتويات المساجد وبيعها.

كما كان للصراعات المذهبية دور فى انتهاك حرمات المساجد وذلك بسبب الاضطهادات التى تعرض لها النصارى خلال فترة الدراسة الأمر الذى دفعهم إلى مهاجمة أماكن العبادة وانتهاك حرمتها، كذلك الصراعات الدينية بين البعض من شيوخ الإسلام كان لها انعكاسات على حرمة تلك المقدسات، ولا ننسى ما كان للبدع والخرافات التى انتشرت خلال العصر المملوكى من دور فى المساس بحرمة أماكن العبادة ولا سيما المساجد، كما أكد البحث على الدور الذى قام به السلاطيين والأمراء المماليك فى محاولة منهم للمحافظة على حرمة أماكن العبادة وقدسيتها.

The Summary

It includes a study of the violation of the sanctities of mosques in Egypt during the Mamluk era (648-923 AH / 1250-1517 AD), an introduction that included the importance of the topic and the reason for its selection, emphasizing that the violation of the sanctities of mosques during the Mamluk era was just a passing event and not a phenomenon or something rooted in the psyche and nature of the Egyptian people.

This research included talking about the violations that occurred for political reasons and how the conflicts, political rivalries, revolutions and coups that were taking place in Egypt during the Mamluk era included among their results the prejudice to mosques and places of worship.

Doctrinal conflicts also had a role in violating the sanctities of mosques, due to the persecutions that Christians were subjected to during the study period, which prompted them to attack places of worship and violate their sanctity, as well as religious conflicts between some of the sheikhs of Islam had repercussions on the sanctity of those sanctities, and we do not forget the role of heresies and superstitions that spread during the Mamluk era in affecting the sanctity of places of worship, especially mosques, and the research also emphasized the role played by the Mamluk sultans and princes in an attempt to preserve Sanctity and sanctity of places of worship.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريـــم.

أولاً : المصادرالأصليـــة:-

ابن أرنبغا الزردكاش:(ت٨٦٧هـ/١٤٦٣م) :

١- الأنيـق فـي المنجـانيق، تحقيـق، إحسـان هنـدى ، دار الكتـب الوطنيـة، أبـوظبي، ط١،٢٠١٣م

ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي(ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م):

٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

ابن أيبك الدوداري: أبى بكر بن عبد الله بن أيبك:

٣- كنز الدرر وجامع الغرر(الدرر الزكية في أخبار الدولة التركية)، تحقيق، أولرخ هارمان، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٧١م

ابن تغرى بردى: جمال الدين يوسف بن تغرى بردى:(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق، محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م.

٥- مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة، تحقيق، نبيل محمدعبدالعزيز، دارالكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

ابن الحاج : أبو عبد الله محمد العبدري(ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م):

٦- المدخل إلى الشرع الشريف، القاهرة، ١٣٤٨هـ.

الحنبلي: أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٧٩م.

ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م):

٨- إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ، تحقيق، حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.

٩- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

١٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م.

ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

١١- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، تحقيق تركى فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٧ هـ /٢٠٠٦م.

ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):

١٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٦٩م.

ابن الإخوة: محمد بن محمد بن أحمد القلاشي(ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م):

١٣- معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق، محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.

الأدفوي: أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

١٤- الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، تحقيق، سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م

ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م):

١٥- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة، بيروت-لبنان، (د.ت)

ركن الدين: بيبرس بن عبد الله المنصوري الدوادار الخطائي:(ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م) :

١٦- مختار الأخبار- تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، تحقيق، عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

ابن زنبل: الشيخ أحمد الرمال(٩٦٠هـ/١٥٥٢م):

١٧- آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق، عبدالمنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

السخاوي: الحافظ شمس الدين عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

١٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط١، (د.ت).

١٩- الذيل التام على دول الإسلام، تحقيق، حسن إسماعيل مروة ، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط١، ١٩٩٧ م.

ساويروس: الأنبا ساويروس بن المقفع (ت٣٣٧هـ/٩٨٧م):

٢٠- تاريخ البطاركة، إعداد، الأنبا صموئيل، دار النعام للطباعة والتوريدات،القاهرة،١٩٩٩م.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي(ت٩١١هـ/١٥٠٥م):

٢١- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت-لبنان، ١٩٦٨م.

٢٢- الوشاح في فوائد النكاح، تحقيق، طلعت حسن عبد القوي، دار الكتاب العربي، دمشق- سوريا، (د. ت).

٢٣- تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

أبو شامة: عبد الرحمن إسماعيل بن إبراهيم شهاب الدين الشافعى الدمشقى (ت ٦٦٥ هـ /١٢٦٨م):

٢٤- الذيل على الروضتين، تحقيق، عزت العطار الحسينى الدمشقى، بعنوان تراجم رجال القرنين السادس والسابع، القاهرة، ١٩٤٧م.

ابن شاهين: عبد الباسط بن خليل الملطي(٩٢٠هـ/١٥١٤م):

٢٥- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق. محمد كمال الدين، عز الدين علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

الشربيني: يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني(ت ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م):

٢٦- هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف، المطبعة الآمرية، بولاق- القاهرة، ط٢، ١٣٠٨هجرية.

الشيرزي : أبو إسحاق الشيرزي الشافعي(ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م):

٢٧- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، إشراف، محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٦م.

الصفدى: صلاح الدين خليل بن أيبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

٢٨- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق، علي أبوزيد وأخرون، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١، ١٩٩٨م.

العيني: أبو محمد بن بدر الدين العيني(ت٨٥٥هـ/١٤٥١م):

٢٩- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق، فهيم محمد علوي شلتوت، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ/١١١١م):

٣٠- إحياء علوم الدين، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، (د.ت).

أبو الفدا: إسماعيل بن على عماد الدين(ت ٧٣٢ هـ /١٣٣١م) :

٣١- المختصر فى أخبار البشر، القاهرة، ١٣٢٥هجرية،

ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هجرية/١٤٠٥م):

٣٢- تاريخ ابن الفرات المعروف باسم الطريق الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك، تحقيق قسطنطين رزيق، بيروت، ١٩٣٩م.

القرماني: أبو العباس أحمد بن يوسف القرماني الدمشقي (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م):

٣٣- أخبار الدول وآثار الأول، تحقيق، فهمي سعد ،بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

القلقشندي: أحمد بن على القلقشندي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م):

٣٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الآمرية، القاهرة، ١٩١٤م.

الكتبي: ابن شاكر الكتبي(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

٣٥- فوات الوافيات، تحقيق،إحسان عباس، بيروت – لبنان (د.ت).

ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

٣٦- البداية والنهاية، تحقيق، عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

ابن ماجه: محمد بن يزيد بن ماجه القزويني(ت٢٧٣هـ/٨٨٦م):

٣٧- سنن ابن ماجه، كتب حواشيه، محمود خليل، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

الماوردي: أبى الحسن على بن حبيب(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م):

٣٨- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق، أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، ١٩٨٩م.

ابن مريم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف (كان حيا ١٢٥هجرية/١٦١٦م):

٣٩- البستان فى ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبى شنب، مطبعة أحمد بن مراد التركى وأخيه، الجزائر، ١٣٢٦هجرية ،١٩٠٨م

المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م):

٤٠- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط٢، ليدن، ١٩٠٩م.

المقريزي: تقي الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):

٤١- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت-لبنان، (د.ت).

٤٢- إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق، كرم حلمي بركات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٣- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق، عبدالمجيد عابدين، دار المعارف الجامعية، الأسكندرية، ١٩٨٩م.

٤٤- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد مصطفي زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٦م.

المقفى الكبير، تحقيق، محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩١م.

٤٥- تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي، تحقيق، عبدالمجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة(د.ت)

محمد بن منكلي(ت٧٨٤هـ/١٣٨٢م):

٤٦- الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق، محمد شيت خطاب، المجمع العلمي العراقي،١٩٨٨م.

النويري السكندرى :محمد بن قاسم بن محمد النويري السكندري:(ت٧٧٥هـ/١٣٧٢م):

٤٧- الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الأسكندرية، تحقيق،عزيز سوريال عطية، دار المعارف العثمانية، تركيا، ١٩٦٨م.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

٤٨- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، نجيب مصطفي فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ت).

اليوسفي: موسى بن محمد بن يحيى (ت٧٥٩هـ/١٣٥٨م):

٤٩- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق، أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٨٦م.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٥٠- معجم البلدان في معرفة السهل والوعر والخراب من كل مكان. دار صادر- بيروت، ١٩٧٧م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربية :-

أحمد فكري:

١- مساجد القاهرة ومدارسها(مصر الفاطمية)، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م.

أحمدعبدالرازق:

٢- شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة،١٩٨٣م.

أحمد مختار العبادى :

٣- في تاريخ الأيوبين والمماليك، دارالنهضة العربية، بيروت-لبنان، ١٩٩٥م.

٤- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م

آدم متز:

٥- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.

السيد عبد العزيز سالم:

٦- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ١٩٨٢م.

السيد عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم:

٧- دراسات فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ٢٠٠٢م

جمال أحمد طه:

٨- مدينة فاس فى عصر المرابطيين والموحدين٤٤٨هـ/١٠٥٦م إلى ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الأسكندرية ٢٠٠١م.

حسن أحمد البطاوى:

٩- أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

حسن الباشا:

١٠- الفنون والوظائف على الآثار العربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

حسن عبد الوهاب:

١١- تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

حسين مؤنس:

١٢- المساجد، عالم المعرفة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١م.

حمدي عبد المنعم حسين:

١٣- دراسات فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

حياة ناصر الحجي:

١٤- صور من الحضارة العربية الاسلامية في سلطنة المماليك ، الكويت، ط١، ١٩٩٢م.

١٥- أحوال العامة في حكم المماليك، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٩٩٤م.

رينهارت دوذي:

١٦- تكملة المعاجم العربية، ترجمة وتعريب، محمد سليم النعيمي وآخرون، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ط١، ١٩٧٩م.

ستانلي لينيول:

١٧- سيرة القاهرة، ترجمة، حسن إبراهيم حسن،علي إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، (د.ت).

سعيد عبد الفتاح عاشور:

١٨- الأيوبيون والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ١٩٩٦م.

١٩- الظاهر بيبرس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٠- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢١- مصر فى عهد دولة المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٦٩م.

سهام محمود مصطفى:

٢٢- الحسبة في مصر الاسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

سيمينوفا:

٢٣- صلاح الدين والمماليك في مصر، ترجمة حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م.

عبد العزيز فيلالى:

٢٤- تلمسان فى العهد الزيانى، دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية،، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧م.

عبد المنعم ماجد:

٢٥- الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الاسلامية التاريخ السياسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.

عثمان الكعاك :

٢٦- محاضرات فى مراكز الثقافة فى المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية،١٩٨٥م.

عزمى حسين الأخرس:

٢٧- المعجم الجامع، حرف الحاء، مكتبة الجامعة الأردنية، المملكة الهاشمية الأردنية ،(د.ت)

على حبيبة:

٢٨- النظم الاسلامية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٩م.

علي باشا مبارك:

٢٩- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلدانها القديمة والشهيرة، الجزء السادس، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

فهمى عبد العليم:

٣٠- العمارة الاسلامية في عصر المماليك الجراكسة، الكتاب رقم ٣٣، مشروع المائة كتاب، المجلس الأعلى للآثار، وزارة الثقافة، القاهرة (د. ت).

قاسم عبده قاسم:

٣١- عصر سلاطين المماليك، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

٣٢- أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك دراسة وثائقية"، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الكويت، ٢٠٠٣م.

٣٣- بين التاريخ والفولكلور، عين للدراسات والبحوث الأنسانية والاجتماعية، ١٩٩٣م.

كرم الصاوي :

٣٤- ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها، وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

مجدي عبد الرشيد :

٣٥- القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

محمد أحمد دهمان:

٣٦- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق- سوريا، ١٩٩٠م.

محمد بن تاويت الطنجي:

٣٧- رحلة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

محمد جمال الدين سرور:

٣٨- دولة قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م.

محمد رمزي:

٣٩- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الجزء الثالث، القسم ٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة١٩٩٤م.

محمد عبد السلام عباس:

٤٠- في تاريخ الحضارة والثقافة العربية الاسلامية، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ٢٠١٠م.

محمد محمد أمين:

٤١- الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

محمود رزق سليم:

٤٢- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبى ، مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة، ١٩٩٥م.

محمود محمد الحويري:

٤٣- أسوان في العصور الوسطى، مطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٠م.

مصطفى عبد الكريم الخطيب:

٤٤- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة ، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٦.

نظير حسان سعداوي:

٤٥- صور ومظالم من عصر المماليك، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

نقولا زيادة:

٤٦- دراسات فى تاريخ المغرب العربى والسودان الغربى، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩١م.

ثالثاً: الدوريات والمقالات الالكترونية:-

جوزيف شاخت، كاليفورد يوزورث:

١- تراث الإسلام، ترجمة، حسن يونس،ج٢، مجلة سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط٣، ١٩٩٨م.

سحر السيد عبد العزيز سالم:

٢- انتهاك حرمات المساجد والموتى في القرنين الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين(عرض وتأصيل وتقيم)، العدد(٢) يونيو، مجلة اللغة العربية والعلوم الاسلامية، جامعة الوادي الجديد، ٢٠٢٢م.

سماح عبد المنعم السلاوي:

٣- طائفة المؤذنيين في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد التاسع، القاهرة، ٢٠١٩م.

صدام حسين خضير عباس السعدي:

٤- بعض مظاهر الفساد في المجتمع في عصر المماليك البرجية (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥٧١م)، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد ٢٢، العراق، ٢٠٢٢م.

عبد الله عطية عبد الحافظ:

٥- معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك بمصر والشام" من خلال ما ورد على عمائرهم وفي الوثائق والمصادر التاريخية"، مجلة دراسات في أثار الوطن العربي، العدد العاشر، القاهرة.

عزت سليمان، فوزية يونس فتاح:

٦- الحياة الاقتصادية لأصحاب الحرف في مصر المملوكية، عدد ٢٣، مجلد ١٥، مجلة كلية التربية الأساسية، العراق، ٢١٠٩م.

هاشم الشريف:

٧- دالة التقليد فى الثقافة العربية والاسلامية، مجلة كلية الدعوة الاسلامية،الليبية، عدد ٦، ١٩٨٩م.

محمد أحمد محمد الشحرى:

٨- واسط والعراق مركزا للدراسات الاسلامية خلال القرن الثامن الهجرى من خلال كتاب المراكز الثقافية والعلمية فى العالم العربى عبر العصور حصاد ٩، ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م،

رابعا : الرسائل الجامعية:

إبراهيم رجب محمود:

١- الحياة الثقافية في صعيد مصر منذ الفتح العربي الإسلامي وحتى قيام دولة المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الأسكندرية، ٢٠١١م.

أسامة أحمد إسماعيل:

٢- الأسكندرية في عصر دولتي سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، ١٩٨٧م.

أيمن شاهين علام:

٣- المدارس الاسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة طنطا، ١٩٩٩م.

سحر بنت علي محمد دعدع:

٤- ولاة القاهرة الكبرى خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية- جامعة أم القرى- مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية،٢٠٠٦م.

هالة نواف يوسف الرفاعى:

٥- السجون فى مصر فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨م.

خامسا: المراجع الأجنبية :-

1- Daniel Chu and Elliott, Skinner, AGlorious Age in Africa, The story of three great Africa Empires, New york,1965.

2- Nicoholson: Literary Hisory of Arabs, Cambrdige, 1969.